الدكتور إبراهيم مهديد

المثقفون الجزائريون في عمالة وهران



خلال الحقبة الكولونيالية الأولى 1850-1912

(دراسة تاريخية واجتماعية)

Les Intellectuels Algériens de l'Oranie

1850-1912

منشورات دار الأديب

الدكتور إبراهيم مهديد

المثقفون الجزائريون في عمالة وهران

خلال الحقبة الكولونيالية الأولى 1850-1912

(دراسة تاريخية واجتماعية)

Les Intellectuels Algériens de l'Oranie
1850-1912

منشورات دار الأديب

منشورات دار الأديب
حي باهي اعمر السانيا وهران
الهاتف: 35 31 58 041
ردمك : 3674-2006
الإيداع القانوني : 11-93-793-9961

مختصرات

(ج): جزء

(ط): طبعة

(ص): صفحة

(م): مجلة

نش (نشرة) "….	Bull (Bulletin) « ……..
(صص) من صفحة…إلى صفحة…	p.p de la page à la page
سلسلة "هـ"	Série « H »
سلسلة "ج"	Série « J »
سلسلة "ن"	Série « N »
سلسلة "ر"	Série « R »
(أ.ف) إفريقيا الفرنسية	(A.F) Afrique (L') Française
(أ.م.ب.بآكس) أرشيف ما وراء البحار بآكس أون بروفانس (فرنسا)	(C.A.O.M) Centre des Archives d'Outre-mer à Aix-en Provence
(ح.ع.ج) الحكومة العامة بالجزائر	(G.G) Gouvernement (Le) Général d'Algérie
(م.ت.ح.و) مجلة التاريخ الحديث والمعاصر	(R.H.M.C) Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine

(R.I) Revue -La- Indigène	(م.أ) المجلة الأهلية
(R.H) Revue (La) Historique	(م.ت) المجلة التاريخية
(P.C.G) Publications (Les) du Conseil Général	(م.م.ع) مداولات المجلس العام
(D.A.W.O) Direction -La- des Archives de la Wilaya d'Oran	(م.أ.و.و) مديرية الأرشيف بولاية وهران
(D.F) Délégations (Les) Financières	(م.م) المفوضيات المالية
(B.S.G.A.O) Bulletin (Le) de la Société Géographique et d'Archéologie de la Province d'Oran	(ن.ج.ج.ا.و) نشرة الجمعية الجغرافية والأثرية لعمالة وهران
(R.A) Revue -La- Africaine	(م.إ) المجلة الإفريقية
(A.M) Archives -Les- Marocaines	(أ.م) الأرشيف المغربي

تمهيد

عندما يعالج المؤرخون وعلماء الاجتماع والعلوم السياسية نوعا من هذه المواضيع يجب أن يراعى منهجيا دراسة التواصل والاتصال الثقافي في المجتمع الجزائري وواقعه لاحقا داخل المناخ الوطني مع ميلاد الحركة الوطنية الجزائرية -نهاية القرن التاسع عشر- وبداية القرن العشرين، وتطوره في العقود اللاحقة.

فالبيئة الثقافية الجزائرية عانت كثيرا مثلما عانت الطبقات الاجتماعية هي الأخرى، إثر عمليات الاحتلال والغزو الفرنسي لمناطق البلاد مرحلة، وبأساليب مختلفة. فالطبقة المثقفة الوطنية والبورجوازية كادت أن تختفي تحت ضربات المؤسسات الاستعمارية وسياسات الحكم في الجزائر طيلة فترة القرن التاسع عشر؛ وهي الطبقة التي حوت العلماء والقضاة والمفتين والأئمة والمعلمين وزعماء الدين والتجار. فالسياسة الاستعمارية « جففت الجزائر من طبقتها الوسطى التي كان من الممكن أن تلعب دورا حاسما في الاحتفاظ بالكيان الوطني، والقيم الثقافية والوجود السياسي للجزائر.

بل حتى أولئك البورجوازيون الذين تخلفوا سهوا في بلادهم كانوا قد أرغموا إما على العيش الضنك وإما على الهجرة مؤخرا »[1].

فالثقافة الجزائرية عموما عانت أيضا نتيجة الاحتلال. فالمواسم الوطنية والتاريخ واللغة إما اختفت وإما اضطهدت، وكانت المساجد قد حولت إلى كنائس، أو مستشفيات أو متاحف. « كما أن المثقفين الجزائريين قد فقدوا تدريجيا الاتصال بماضيهم نتيجة لفقدان الكتب والمدارس بلغتهم (.....). أما الفلاحون فقد تركوا للخرافات والجهل، وقد كانت اللغة العربية أكثر النظم الوطنية الجزائرية معاناة، وبالتالي عموما قد انضرت »[2]. فاللغة العربية، كمقوم من مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية قد حوربت بمختلف الأساليب والمضايقات الإدارية، وكان الهدف من هذه الحرب التي شنها الاحتلال الفرنسي. « على اللغة العربية طوال قرن وثلث، هو القضاء عليها تمهيدا للقضاء على الثقافة العربية الإسلامية، وبالتالي القضاء على الشخصية الجزائرية »[3].

فالثقافة العربية الإسلامية التي تعتبر ثقافة المجتمع الجزائري القومية عبر المراحل التاريخية السابقة هي مقوم أساسي للشخصية الجزائرية سواء بكونها ترتكز على الثقافة العربية التي تشكل اللغة

(1) سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائري **1900–1930**، بيروت مارس 1969، ط1، ص71.

(2) نفس المرجع أعلاه، ص79.

(3) تركي (رابح) التعليم القومي والشخصية الجزائرية **1930–1956**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1975، ص325.

العربية إطارها الصحيح؛ وهي اللغة التي تميزت بتاريخ قديم متصل الحلقات، أو بكونها ثقافة سايرت الحضارة ونظمها، وساهمت في الإنتاج الثقافي في ميادين الأدب والفلسفة والعلوم عموما في عصور الازدهار الفكري للعرب، أو بكونها ثقافة ذات تراث فكري خصب متأثر أشد التأثر بالقرآن والدين والشريعة الإسلامية التي تعتبر محك المجتمع وأساس ما كان يلقن ويدرس في حلقات وأطوار التعليم المختلفة[1].

وهذه الجذور الثقافية العميقة في المجتمع الجزائري تكونت في الأساس وتاريخيا -قبل وخلال الفترة العثمانية واستمرت في النهوض من بعد- نتيجة الدور الذي قامت به المؤسسات الثقافية والتربوية في ربوع الجزائر كالمساجد والمدرسة والكتاتيب والزوايا التي قامت بمهمة التعليم مشرفة على تلامذته وطلابه ومدرسيه، فكانت « أكبر مؤسسة تغذي هذه المؤسسات الثقافية هي الأوقاف-الحبوس- »[2]، التي كان من أغراضها توفير العناية بالمساجد والمدارس والمعاهد والزوايا. وإلى جانب هذه المؤسسات الثقافية التي تكفلت بقضية تعليم المجتمع وتثقيفه، « يدين هذا التعليم كذلك لجهود الأفراد والعائلات، لأن بعض العثمانيين كأشخاص والجزائريين اشتركوا على السواء في

(1) من أفيد ما يمكن الاطلاع عليه تحت هذا الطرح هو إنتاج تركي رابح، المرجع أعلاه، وأبو القاسم سعد الله « تاريخ الجزائر الثقافي » الجزء الأول والثاني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، والكعاك عثمان، « مراكز الثقافة في المغرب من القرن **16** إلى القرن **19** »، معهد الدراسات العليا، 1957.

(2) حلوش (عبد القادر)، السياسة التعليمية في الجزائر **1871-1914**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1975، ص2.

تأسيس المدارس والاعتناء بها، وكان هؤلاء يهتمون ببناء المدارس والمساجد بدوافع دينية ولخدمة العلم ولتخليد أسمائهم أحيانا أخرى »[1].

ء

(1) نفس المرجع أعلاه، ص3.

_ البيئة الثقافية في الغرب الجزائري

من المعروف تاريخيا أن التعليم في الجزائري كان منتشرا بشكل يشمل جميع المناطق الجزائرية وحتى النائية منها وخاصة داخل النواحي العريقة في الميدان الثقافي، كمدن تلمسان وندرومة ومعسكر ومازونة والعاصمة ولمدية وقسنطينة وغرداية والوادي وغيرها. فكان « التعليم الابتدائي منتشرا بينهم -أي الجزائريين- بمقدار انتشاره عندنا -في فرنسا- فتوجد المدارس للقراءة والكتابة في معظم الحواضر والقرى. فعملية مصادرة الأبنية الخاصة بالمساجد استنزفت بصورة خاصة كل موارد التدريس الذي يحوي من 2000 إلى 3000 صبي في كل مقاطعة؛ يتابع منهم عدد كبير (600 إلى 800) دراسته في علوم الفقه والشريعة والتفسير فيحصلون على لقب "العلماء" »[1]. فمدن تلمسان ومازونة وقسنطينة وبجاية والجزائر العاصمة حوت قبيل الاحتلال الفرنسي مراكز لأكبر المعاهد العلمية والتربوية في الجزائر. غير أنه لا توجد ما نسميه **"جامعة إسلامية"** مثل جامع

---

(1) RINN (Louis), « **Note sur l'instruction publique musulmane en Algérie** », février 1882, p10.

الأزهر والقرويين أو جامع الزيتونة، فعلى العكس كانت دروس الجوامع الكبيرة لتلك المدن الجزائرية تضاهي دروس الجامع الأموي والحرمين الشريفين لتنوع الدراسات فيها وتردد العلماء والمدرسين عليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، فضلا عن المساجد التي كانت تعتني بتلقين اللغة العربية لطلابها[1].

وإذا كان التعليم العربي من أهم مقومات الثقافة العربية-الإسلامية داخل المجتمع الجزائري على غرار المجتمعات العربية الأخرى، فالدين الإسلامي يعتبر مقوما كبيرا للشخصية الجزائرية. ومن هنا يتجلى دور المساجد والزوايا التي أدت وظيفتها في نشر التعليم بجميع أنواعه وإلحاقها المدارس والمعاهد العليا مثل مازونة وبطيوة ومعسكر[2]، والجامع الكبير بتلمسان وجامع سيد لعريبي وزاوية الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري، وزاوية القليعة ومليانة وبني محي الدين وزاوية بني سلميان والجامع الأعظم بالجزائر العاصمة[3]؛ أما شرقا فهناك جامع سيدي الأخضر بقسنطينة وزاوية سيدي عقبة بمدينة بسكرة وزاوية ابن علي شريف في جبال جرجرة وخاصة معاهد المساجد بوادي مزاب بالصحراء[4].

هكذا استحفظت اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية من حفظ للقرآن الكريم وتفسير للحديث وعلوم الشرع واللغة من خلال قنوات

---

(1) سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص273.

(2) Cf BERQUE (J), **L'intérieur du Maghreb entre le XV^{e} et le XIX^{e} Siècle**, ed Galimard, 1978.

(3) EMERIT (Marcel, « **L'Etat intellectuel et moral en Algérie en 1830** », in R.H.M.C, n° Juillet-Septembre 1954, p204.

(4) Ibid.

عدة مثل المدارس القرآنية والوعظ والإرشاد في المساجد ومعاهد الزوايا، أو من خلال الهجرة لطلب العلم والرجوع إلى الوطن لتقلد مناصب التدريس والتبريز -والوظائف الأخرى- أو تلقي زيارة العلماء من ربوع المغرب والمشرق العربيين، بل للبقاء فترات طويلة والتنقل عبر ربوع المناطق والمدن الجزائرية.

وعلى مستوى الغرب الجزائري وعلى غرار المناطق الجزائرية الأخرى، فإن المجتمع قد استطاع الحفاظ على مقوماته المرتبطة باللغة والدين وعلى جذوره الثقافية العميقة بين جميع الأوساط، رغم المعاناة من سياسة الاحتلال والاستعمار وتطبيق سياسات الاضطهاد الفكري ومعارضة تعليم وتثقيف فئات المجتمع عموما وتجهيله[1]. فالمصادر جميعها تشير مثلا إلى اشتهار تلمسان بمدارسها، بعثور الفرنسيين أثناء الاحتلال على حوالي خمسين مدرسة ابتدائية وثلاثة معاهد للتعليم "الثانوي" والعالي[2] كما وجد بنفس المدينة ثلاثون زاوية تؤدي وظيفتها التربوية والدينية وسط كثافة عمرانية بلغت 12.500[3].

واجتماعيا وداخل مقاطعة تلمسان – Subdivision de Tlemcen– دائما، تفيد بعض الوثائق بغنى المنطقة ثقافيا وعلميا والتي ظلت عليه -حسب ما نعتقد، ولا نستثني المقاطعات الجزائرية الأخرى- ما بين

---

(1) طالع بتوسع حلوش عبد القادر، المرجع السابق، الفصل الأول والرابع من الباب الأول.
(2) TURIN (Yvonne), **Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale, Ecoles médecines, religion (1830-1880)**, ed Maspéro, Paris 1971, pp 127-131.
(3) Ibid.

فترتي الخمسينات والسبعينيات من القرن التاسع عشر. فتحليل أحد الجداول الرسمية عن الحالة الثقافية والعلمية عن مقاطعة تلمسان مع منتصف 1854 –مستثنيا تلمسان[1]–، يساعد للوصول إلى بعض النتائج ومنها مثلا:

1. إن عدد القبائل التي حافظت على مدارسها القرآنية –رغم عملية الاحتلال– ووظفت درارين ومعلمين (Tolbas) للصبية والطلبة بلغ 56 (قبيلة وعروش).
2. إن عدد التلاميذ والطلبة بدائرة تلمسان وحدها بلغ 367.
3. إن عدد الطلبة المتخرجين ليباشروا بدورهم التدريس (ولمواصلة دراستهم العليا) بلغ 91 طالبا في كل من نواحي الغزوات ومغنية وسبدو.
4. إن مواد التلقين والحفظ والدراسة ارتكزت –حسب الأطوار– من حفظ للقرآن الكريم وشرحه لغة ونحو أو تحليل "لألفية سيدي خليل"، و"ألفيته إلى علوم الفقه والأصول والشرع وعلم الميراث".

إن تكون النخبة الجزائرية من مدرسين وعلماء تم في حواضر ثقافية وعلمية مشهورة مثل "ترارة" و"ولهاصة" –اللتان ينحدر منهما خ يفة الأمير عبد القادر ومستشاره الأول سي أحمد البوحميدي– و مسان (منها القاضي سي عبد القادر بن بشير مثلا) وأولاد رياح (و يها فقيه المواريث سي محمد بن عزة) وبني ورنيد (وفيها المفتي

(1) C.A.O.M, Cart 1J82 « **Les enseignants des écoles dans les tribus le l'arrondissement de Tlemcen** » note de 7 pages datée le 13 juin 1854.

سي محمد بن عبد الله) وندرومة (وفيها العادل سي محمد بن قانة).
وهناك زاوية سيدي يعقوب ومازونة ولمجاهر وبني يسنوس ودواير ولهشم شراقة وفقيق وأولاد سيدي الشيخ بالبيض و"وجدة وفاس وبني زناسن والريف (بالمغرب الأقصى)".

أما الجدول الثاني[1] من هذه الوثائق والذي أرخ في نفس الفترة فيحوي فئة العلماء الكبار من مفتيين وقضاة وطلبة التعليم العالي بالنسبة لمقاطعة تلمسان، ونلخصه كالآتي:

جدول رقم (1)

الفئات / الدوائر	قضاة	مفتون	طلاب وعلماء
– تلمسان	12	4	24
– مغنية			2
– الغزوات			9
– سبدو			11
المجموع 62 عالم	12	4	46

ويفيد هذا الجدول هو الآخر بأسماء الفئات النخبوية في هذه المقاطعة وتكوينها العالي (لغة، دين وشريعة)، كما تتميز معها معاهد وجامعات تكوين هذه الفئات سواء في تلمسان وندرومة ومعسكر ومستغانم ومازونة من جهة، أو في فاس وتطوان وبني زناسن؛ مما

---

(1) طالع أ.م.ب آكس، علبة J821، « قائمة القضاة والطلبة لدى القبائل بمقاطعة تلمسان » مؤرخة يوم 13 جوان 1854، 3 صفحات، من المفيد أن يطالع دور هذه النخبة الجزائرية لدى فريمو جاك:

- FREMAUX (Jacque), **Les bureaux arabes dans l'Algérie de la conquête**, ed Denoël, Paris 1933.

يوحي بغنى واتساع البيئة العلمية والثقافية داخل المجتمع الجزائري بالنسبة لهذه المقاطعة مع تأطيره العربي الإسلامي. ونورد على سبيل المثال أسماء كل من القاضي "سي محمد بن العربي بن ويس" (تلمسان) والقاضي "سي محمد بن منذر" (أولاد سيدي عبد اللي) والقاضي والعالم "مولاي بن عبد القادر" (قاضي خلال فترة الأتراك) مع القاضي "سي عمر بن مقران" (قاضي مع الأمير عبد القادر) وهما من قبيلة أهل الواد. وهناك العالم "سي طاهر بن غراس" من بني ريمان، والمفتي "سي عبد الوهاب" مع "سي سنوسي ولد بومدين" من بني ورنيد. كما اشتهر بدائرة مغنية لدى بني واسين العالم "سي عبد الله بن أيوب" رفقة "سي محمد بن هلال". واشتهر كل من "سي عبد الرحمن بن اليبوري" بقبيلة "مسيردة لفاقة" (الغزوات) رفقة كل من "سي شيخ بن عزة" و"سي محمد بن الخثير"، مع "سي بوعزة" بزاوية "لعنابرة". وهناك "سي سليمان المحياوي" بسواحلية، و"سي الهاشمي" (لخميس) و"سي بوطالب" (أولاد أورياح) و"سي محمد ولد عبد الرحمن بن الحاج محمد بن عبد الله" (عالم وقاضي حميان) لدى قبيلة لفراد بدائرة سبدو[1].

وتميزت البيئة الثقافية الجزائرية مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في الغرب الجزائري -على غرار المناطق الأخرى من الوطن- بدآبة المجتمع نحو تثقيف نشأته في المدارس القرآنية الحرة كالكتاتيب وإلى جانب المسجد والزاوية.

ولم تتردد العائلات الجزائرية في استقبال وتوظيف محفظي القرآن الكريم لأبنائهم من الوافدين من المغرب الأقصى طيلة هذه

---

(1) نفس المصدر السابق.

الفترة، كما حصل في بلدية واد تليلات التي وجد بها 18 مدرسا توزعوا على دواوير لقصر وتينزاة وثانية ودوار سيدي غالم وتليلات ومفتاح[1] – ونخالها ظاهرة حضارية طبيعية في المغرب العربي رغم الواقع الاستعماري الإضطهادي للتعليم العربي- فاستمرار المدارس العربية الحرة والمعاهد الكبرى ظل طبيعيا لنشر رسالتها التعليمية والتربوية رغم مضايقات وإجراءات تعسفية لأصحابها من السلطات الفرنسية، قصد التقليل من نشاطها وتأثيرها على السكان الجزائريين، هؤلاء الذين وجدوا فيها متنفسهم الوحيد لتعليم لغتهم العربية والتفقه في دينهم الإسلامي، فخضع هذا التعليم للرقابة الشديدة أحيانا وإلى إغلاق مؤسساته أحيانا أخرى.

ووفقا لقانون 30 أكتوبر 1886 ومرسوم 6 ديسمبر 1887، تم إخضاع المدارس القرآنية إلى رقابة وتفتيش شديدين من قبل السلطات الفرنسية. وتخص هذه الرقابة بالدرجة الأولى الاتجاه الإسلامي[2].

وكانت المادة 48 من مرسوم 1892 قد أخضعت المدارس الخاصة (الحرة الإسلامية) لرقابة وتفتيش السلطات المبينة في المادة 9 من قانون 1886 ومرسوم 1887؛ وتتمثل هذه السلطات في إشراف البلديات على هذه المدارس ذات التعليم الحر ومراقبة مدرسيها، لمحاولة معرفة الانتماء السياسي للقائمين على هذه المدارس.

إن كثيرا من هؤلاء كان ينتمي إلى طرق دينية يعتبرها الاستعمار ذات طابع سياسي مناهض لوجوده وبقائه في الجزائر. فكثيرا ما

---

(1) م.أ.و.و، علبة 4064، تقرير مؤرخ بتليلات يوم 22 فبراير 1877.

(2) حلوش عبد القادر، المرجع السابق، ص183.

قامت الطرق الدينية نفسها بإعلان الثورة على الاستعمار، بل أن الأمير عبد القادر الذي قاد الثورة الشعبية ضد الاحتلال كان ابن زعيم ومنتمي إلى طريقة دينية (الطريقة القادرية)، وإلى جانب ذلك قامت ثورات أولاد سيدي الشيخ عام 1864، وثورة الشيخ الحداد 1871، والشيخ بوعمامة عام 1881.

وإذا تتبعنا خطوات الثورات الشعبية التي قامت خلال القرن التاسع عشر نرى بوضوح عمقها الديني المتأصل في الشعب الجزائري الذي استمر في البروز حتى بداية القرن العشرين. وكانت السلطات الاستعمارية تحاول محاصرة هذه المدارس القرآنية وتقطع أمامها باب الصلة والاتصال مع المشرق[1] والمغرب العربيين.

فدآبة المجتمع في القطاع الوهراني نحو التعلم[2] ومساعيه الحثيثة للمحافظة علـــى جذوره الثقافية العربية-الإسلامية العميقة (الدين والشريعة واللغة العربية) ظلت نشيطة حتى مجيئ القرن العشريـــن -وأثناءه- إذ أن الرصيد الأرشيفي[3] والوثائقي[1] المتوفر

---

(1) حلوش عبد القادر، نفس المرجع، ص183.

(2) أحصينا ما لا يقل عن 270 طلب بالنسبة لالتماس فتح المدارس القرآنية والحرة والعاهد التي قامت بها النخبة من الطلبة والمدرسين بغض النظر عن الكثير منها، كتلك التي كانت تفتح وتؤسس-من كتاتيب- دون الرجوع إلى إذن أو موافقة السلطات الإدارية الفرنسية.

(3) إطلع على أ.م.ب باكس أون بروفانس، فيما يتعلق بالقطاع الوهراني والذي يعالج "الكتاتيب القرآنية والمدارس العليا" وهي :

Série 4S- Ecoles coraniques et modéres :
4S.15 :Arrondissement de Mostaganem (1896-1933) ; 4S.16 : Arrondissement de Tlemcen (1896-1930); 4S.17 : Arrondissement de S.B. Abbès (1896-1914) ; 4S.18 : Arrondissement d'Oran (1896-1933) ; 4S.19 : Arrondissement de Mostaganem (1896-1914) ; & Série 1S –Ecoles primaires « Département d'Oran » :

يثبت مدى نجاح هذا الطموح وهذا الهدف الحضاري والتربوي القومي لتحقيق مقوم أساسي من مقومات الشخصية الجزائرية، بإحياء اللغة العربية ونشرها على نطاق واسع.

التعليم "الأهلي" الحر في عمالة وهران[2]

الدوائر	عدد المدارس المرخصة	عدد تلامذتها	عدد المدارس غير المرخصة	عدد تلامذتها	المجموع العام	
					مدارس	تلاميذ
وهران	14	146	140	1048	153	1194
سيد بلعباس	10	104	73	390	83	494
معسكر	24	201	175	1305	199	1506
مستغانم	28	583	109	1134	137	1717
تلمسان	13	244	146	1402	159	1546
المجموع العام	89	1278	643	5279	731	6557

(جدول رقم 2)

1S.37 : Ecoles arabes françaises : Arrondissement d'Oran, Mascara, Tlemcen (1960-1881) ; 1S.38 : Idem, arrondissement de Sidi Bel Abbès et Mostaganem ; 1S.39 : Ecoles arabes. françaises et zaouias (1852-1874) (et) Ecoles et confréries religieuses musulmanes (1875-1876) ; Cf Oran 3331 : confréries musulmanes, arrondissement de Tlemcen (1880-1936) ; Oran : 3332 et 3333, associations culturelles musulmanes 1901-1944 ; Oran : 3387, rapport mensuels sur les subdivisions du département (1906-1911).

(1) م.أ.و.و، علبة 4064، « تعليم الأهالي الحر »، وبالخصوص سنة 1903 وسنة 1922.

(2) م.أ.و.و، نفس المصدر، تقرير عامل وهران، مؤرخ 5 أوت 1903، 6 صفحات (أكاديمية الجزائر العاصمة).

وإذا راعى المحلل داخل هذا الجدول ارتفاع نسب المدارس وعدد التلاميذ –مرخصين أم لا– بالنسبة لسنة 1903، فإن تقارير أخرى[1] أفادت بارتفاع عدد التلاميذ وتأسيس المدارس بين 1907 و 1914 من ناحية، كما كشفت النقاب عن قدم بعض الزوايا والمعاهد الكبرى التي ظلت ذات حيوية داخل القطاع الوهراني، ونورد نماذج منها مثلا بمقاطعة تلمسان؛ هناك :

- مدارسة قبيلة "لخميس" التي تأسست حوالي 1107م وعام1207م وعام 1757م.
- مدارس قبيلة "مسيردة" التي تأسست حوالي 1207م (بدشرة "بيدر") وعام 1607 بزاوية سيدي محمد بن يحي (بأولاد بن يحيى) وعام 1650 م بزاوية "أولاد بورزين" و"بربو" (عام 1632) و"لغزوازي" (عام 1607) و"أولاد بويعقوب" (عام 1657) و"لعسارة" (1757) و"لحوالف وهم فرقة من قبيلة لمهادة" (عام 1807) وأولاد حمو (عام 1822). واشتهر لدى قبيلة مسيردة سي مختار بن عمر (وهو باش–عادل في المنطقة)، الذي ينحدر من عائلة مثقفة من زاوية "الميرا" القريبة وهو العالم الذي درس بمازونة ووجدة وفاس[2].

أما كبريات المدارس والمعاهد العلمية مع نهاية القرن التاسع عشر والعقدين الأولين من القرن العشرين (1890–1920) فنكاد نعثر عليها بمنطقة **مينا** "بأولاد الشافع" لدى زاوية الشيخ بن طكوك، "سي

---

(1) م.أ.و.و، علبة 4064، إحصاء حول المدارس الحرة الإسلامية، مؤرخ 1 أوت 1907.
(2) C.A.O.M, cart 10H81.

أحمد ولد الشيخ الشارف؛ وهناك قاسمي ولد عبد القادر ولد لخضر ولد بوزيد (بمعسكر) الذي تتلمذ على يد سي بهلول وسي بوعمران ولد عبد القادر، مع كل من قاسمي عبد القادر ولد لخضر -يشار إليه "كمثقف"- والذي درس بمدينة مراكش بالمغرب، وشنتوف محمد ولد بن علي بن عبد القادر، وصباحي دحو بن حبيب بن دحو الذي كان مرخصا بفتح مدرسة إعدادية للطلبة الذين يدخلون في مسابقات وظيفة "باش-عادل".

وقرب مدينة معسكر دائما، نجد "المثقف" ابن عروسي بشير بن حسين الذي كان يدرس الشريعة والنحو والبلاغة بالجامع الأعظم بالبرج، مع المثقف والعالم توهامي طيب بن أحمد بن الشيخ وسي محمد بن التهامي بسيدي قادة. وفي مدينة سعيدة نشط بالخصوص القاضي والعالم "بن زروقي" محمد بن أحمد بن بوحفص.

أما في مدينة تلمسان فما عدا العالم الكبير "أبي بكر بن شعيب"، أستاذ بالمدرسة الإسلامية العليا في تلمسان، فقد اشتهر كل من "أحمد بن سي محمد بن محمد كبير" بتدريسه الفقه والتوحيد والشريعة والنحو لكبار الطلبة (من 22 إلى 60عام) و"العراقي أحمد بن أحمد" الذي تخرج من جامع الأزهر بمصر وحامل شهادة عليا منها.

أما بمنطقة تيهرت (تيارت) ذات النفوذ الديني الواسع فقد اشتهرت معاهد زواياها بتخريج دفعات الطلبة الذين يؤمونها ويأوون إليها، ومنها:

1. زاوية "سيدي عدة" (بأساتذتها غلام الله أحمد ولد عدة ولعريبي ميلود ولد أحمد ومختاري مصطفى ولد محمد ولعريبي بن عوالي ولد أحمد –مدرس النحو والحساب).
2. زاوية أولاد سيدي بلقاسم (بتاقدمت) مع بلعربي عبد القادر بن قدور.
3. زاوية سيدي بخدة (بأولاد بن عفان) واشتهر منهم خليل محمد بن بوعزة ومصطفاوي بن عودة بن محي الدين وبوزياني قدور ولد بن عودة.
4. زاوية مخاترية (بوقرتوفة) مع بلحوسين محمد بن محمد.
5. زاوية أولاد منصور (بتيقيست) التي أشرف على التعليم بها شيوخ أسرة "بوغلام الله مصطفى بن غلام الله" وعدة بن منصور وعدة بن محمد.

أما بالنسبة لدائرة مستغانم فقد تولّى التدريس بمساجدها الكبيرة كل من الشيخ "سي محمد بوراس هني" بالجامع الأكبر بمازونة رفقة سي محمد مول سويقة (بمسجد بوعلوفة) وسي بن علي بن قاضي (بمسجد بن معطى) والسي عبد الرحمن بن قبلي (بمسجد قصبة مازونة)، وتميز وسط البيئة العلمية الثقافية المازونية كل من العالم المفتي (الحر) هني بوراس ولد الحاج محمد ولد أحمد ولد سيدي هني، وابن عمه هني محمد ولد الشيخ ولد عبد الرحمن ولد هني "كمدرس للشريعة"[1].

(1) طالع سيرتهما كاملة لدى م.أ.و.و، علبة 4474.

وفي مدينة وهران اشتهر كل من المفتي سي علي بن عبد الرحمن، والشارف أفرول علي بن أحمد والأستاذ سي حبيب بالمختاري (أستاذ الشريعة بالجامع الكبير) وفراح بن فراح. وقرب مدينة وهران برز كل من العالم بوتليليس بحمام بوحجر (عين تموشنت) وبوحسون البشير ولد عبد القادر مع بشير بويجرة منور بمدينة سيق. كما عرف كل من الشيوخ سي أحمد بن خلاف (مزغران) وبلهاشمي بن جاسر (قديل)، والسي بلقاسم بن عمر ببطيوة رفقة سي مصطفى بن مختار وسي طاهر بن مهدي وكلاهما بمدينة زمورة.

وما من شك أن هذه البيئة الثقافية الدينية والجو العلمي الذي عرفته منطقة القطاع الوهراني قد تأثرت ملامحها بما خلفه الأسلاف من علوم وتراث أدبي وديني ولغوي وفكري[1]، وأن استمرارية هذه البيئة قد ثبتت واستمرت – ولو بدرجة أخف داخل الأوساط الثقافية والعلمية في المجتمع نتيجة الواقع الاستعماري الفرنسي، وحلوله بالجزائر خلال القرن التاسع عشر– وذلك على مستويات عدة، من زوايا ومعاهد كبرى ومدارس حرة قرآنية وتنقلات للطلبة والعلماء. فما من شك –مثلا– أن محاضرات المؤرخ أبي راس الناصري وحلقات دروسه "بقاعة المذاهب الأربعة" حتى بداية القرن التاسع

(1) طالع بتفصيل محتوى جزأي "تاريخ الجزائر الثقافي"، للأستاذ –الباحث سعد الله أبو القاسم والذي نرى فيه غزارة المعلومات ودقة التفاصيل...؛ وفيما يتصل بمواضيع الفكر والتراث الجزائري قارن أيضا بيرك (جاك):

Berque (Jacque) **Bibliographie de la culture arabe contemporaire**, ed Sindbad, Paris 1981.

عشر قد تركت بصماته الفكرية والتراثية في ناشئة هذه المنطقة لاحقا -780 طالبا من مختلف جهات الوطن والمغرب الأقصى- علما أن مكتبته عدت من بين أكبر المكتبات المتخصصة (3000 مؤلف)، تلتها مكتبة الأمير عبد القادر الشخصية، تلك المكتبة التي استحوذت عليها فلول العسكر الفرنسي "بتا قدمت" يوم 10 مايو 1843.

فالتاريخ الثقافي للغرب الجزائري يشيد في النهاية بدور العواصم العلمية والثقافية كتلمسان ومازونة ومعسكر مثلا، وما خلفه العديد من الفقهاء والعلماء والمؤرخين من تراث فكري، كصاحب "المعيار"[1] "الونشريسي" وما تركه من تآليف، لعبت دورها واحتفظت بقيمتها الدائمة؛ فإلى جانب موسوعته (المعيار)، ترك الونشريسي مساهمات أخرى تمثلت في "إيضاح المسالك على قواعد الإمام مالك" و"المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بأداة الموثق وأحكام الوثائق"، هذا المؤلف الذي يعرف مختصرا بـــ "الفائق في الوثائق" رفقة "تعليق على مختصر ابن الحاجب" وأجوبة فقهية عرفت بتفاوي الونشريسي.

ورفقة الونشريسي هناك علماء آخرون مثل أبو القاسم العقباني وابن مرزوق الحافظ. إذ لا بد من الإشارة أيضا إلى دور المعاهد في الشريعة والفقه الذي عرفتها مازونة[2] وما تركه صاحب "الدرر المكنونة في نوازل مازونة" يحيى بن عمران المغيلي (883هـ-1478م) وأحمد المغراوي (820 هـ). فما من شك أن بصمات جميع هؤلاء العلماء وغيرهم قد حظيت بالديمومة أمثال احمد المقري

(1) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب.

(2) طالع بلحميسي (مولاي) "تاريخ مازونة"، الجزائر، 1981.

صاحب "نفح الطيب" والشيخ محمد بن أحمد الحلفاوي ومحمد بن ميمون مؤلف "التحفة المرضية في الدولة البكداشية" وابن سحنون الراشدي صاحب الشرح الأدبي –التاريخي (الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني) وغيرهم كالعالم المؤرخ أبي راس الناصري المعسكري[1] صاحب "نفسية الجمان في فتح ثغر وهران "وشرحها" عجائب الأسفار ولطائف الأخبار المتوفي سنة 1823 عن عمر يناهز التسعين سنة، وصاحب الحلقات الفكرية والدروس العلمية "بقاعة المذاهب الأربعة" كما أسلفنا الذكر. فرفقة هذه الانتاجات التاريخية- الاجتماعية والمجالات الأدبية لدى الجزائريين خلال الفترة العثمانية وبداية مرحلة الاحتلال الفرنسي فإن العلوم الشرعية، أي الدراسات القرآنية كالتفسير والقراءات والحديث ودراسته بما في ذلك الإثبات والإجازات والفقه من العبادات والمعاملات "كالنوازل"، قد كثرت وسيطرت على الحيازة الفكرية حينئذ، « ولاشك أن ذلك يعود بالدرجة الأولى أن كون القرآن والحديث كان المنبع الذي يستمد منه الجزائريون كل أنواع تفكيرهم وأنماط حياتهم »[2]، عندئذ ولاحقا.

---

(1) ولد محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر الجليلي المعسكري؛ طالع سيرة هذا العالم لدى سعد الله أبو القاسم، المصدر أعلاه، صص 357-360، وأيضا « **مؤرخ جزائري معاصر للجبرتي**: أبو راس الناصري »، أنظر "**أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**" الجزائر "الجزائر 1978، صص 83-103.

(2) سعد الله (أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ص9.

__ سيرورة حركة المثقفين الجزائريين

كخطوة منهجية وتسهيلا للطرح والنقاش، علينا أن نسجل نقطة جوهرية وحساسة تتعلق بالطبقة المثقفة الجزائرية في القطاع الوهراني والجزائر عموما خلال العقود الأولى من القرن العشرين – بل وقبله بقليل–، إذ لا يجب حصر فئاتها في نظرنا واصطفاء دورها في "نخبة" كانت نتاج الثقافة الفرنسية المحضة (والتي مثلت التيار الليبرالي للمطالب لاحقا). فرفقة ذلك هناك صنف مثقف ومتشبع بالثقافة العربية الإسلامية أو مزدوجي اللغة تمثل في عناصر وأطر واعية قادت حركة النهضة في الغرب الجزائري منذ نهاية القرن الماضي وصولا إلى الاحتفال الاستعماري المئوي لاحتلال الجزائر وعقد الثلاثينيات وذلك على المستوى الثقافي والسياسي. وكان لوجود هذه الفئة الثانية من المثقفين، داخل تلك النهضة نتائج حاسمة، تمثلت في خلق توازن في القوى السياسية داخل الحركة الوطنية بالغرب الجزائري، بل وقلب الميزان لصالحها خصوصا بعد نجاح وتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين رفقة خلايا نجم الشمال الإفريقي وحزب الشعب الجزائري من بعد، داخل ربوع هذه المنطقة.

فالمثقفون (Intellectuels) والنخبة (L'Elite) والمتطورون (Evolués) كلها أسماء ترافقت في كثير من الكتابات والأدبيات المعاصرة داخل الهيسطوغرافية الحاضرة، فقلما لوحظت مميزات إحدى الفئات وخصوصيات الأخرى داخل التعريفات العديدة بالنسبة لهذه المفاهيم.

وإذا كان مصطلح "النخبة" قد انتشر في القرن العشرين خاصة ليغطي نشرات الصحف وغيرها « فإن الصحافة الفرنسية بجميع أشكالها وألوانها هي التي أطلقت إسم "النخبة" على جماعة من الناس، تمييزا لهم عن بقية أفراد المجتمع. وذلك تشجيعا لهم لمواصلة السير في طريق الإدماج والمطالبة بالجنسية الفرنسية، لأنهم الوحيدون القادرون على التأثير على زملائهم وإخوانهم كونهم يملكون قوة فكرية وثقافية تجعلهم في الصف الأول من المجتمع بل وفي طليعته، وبهذا يصبحون بحق الوسطاء النشيطين والفعليين بين المجموعتين من المتباعدين ثقافيا ودينيا »[1].

فالمعروف تاريخيا أن دور المدرسة الفرنسية كان أساسيا في تكوين فئة من "المتمدرسين" تربت تربية فرنسية خالصة وفي محيط وبيئة فرنسية بعيدة عن واقعها[2]، لم تنل من ثقافتها العربية الإسلامية إلا النذر القليل، الشيء الذي جعلها لا تميز بين ثقافتها وثقافة المستعمر. هكذا عملت هذه المؤسسة التعليمية لخلق "نخبة" مثقفة وتهيئتها، تكون قادرة على نشر أفكار التقدم الفرنسي وقضائه،

---

(1) أنظر حلوش (عبد القادر)، المرجع السابق، « **مفهوم النخبة** » صص 253-256.

(2) حلوش (عبد القادر)، المرجع السابق، ص263.

«بصفتها برجوازية محافظة ترتبط بفرنسا أكثر فأكثر وتميز الطريق المتبع تحت السيطرة »[1] الفرنسية. فالمدرسة الفرنسية كانت تبحث في هذا الاتجاه على إقناع الجزائريين بكافة الوسائل بعظمة وقوة فرنسا –خوفا من تحول التيار الوطني ضدها– فوضعت الغاية التي هدفت إليها "أن الهدف المنشود ليس تكوين موظفين خاصين ولا تحضير مدرسين للتعليم العمومي، وإنما لتكوين رجال يساعدوننا على تحويل المجتمع العربي وفق متطلبات حضارتنا"[2].

وحتى يؤدي هؤلاء "الوسطاء" دورهم –أو واجبهم– رأى الأوربيون أن تكون « الدراسات قوية بهدف محاربة الأعداء الذين يعترضونها فيما بعد، ويجب أن نركز الجهود كلها لجعل هؤلاء السكان مشابهين إلينا، متحمسين لحضارتنا أو على الأقل لجعلهم يرغبون في التقرب إلينا شعورا وفكرا »[3]. فالإدارة الفرنسية لم تكن تنوي تكوين موظفين صغار فقط وفقا لضرورات الواقع الاستيطاني –الاستعماري ولكنها فكرت كذلك للتأثير على المجتمع المسيطر عليه من خلال هؤلاء المساعدين النخبويين، قصد « تحويل المجتمع الإسلامي، ومع الزمن حمله على تعلم لغتنا وقضائنا وعاداتنا وتقاليدنا، وكذلك على انتقائنا وخيارنا الديني أم الفلسفي »[4].

(1) COLLONA (F), **les instituteurs algériens 1883-1939**, ed OPU, Alger, 1975, p82.

(2) تورين (ايفون)، المجابهات الثقافية...، ص73.

(3) تورين (ايفون)، نفس المرجع أعلاه.

(4) كولونا (ف)، المرجع أعلاه، ص80.

أمام هذه المعطيات الاجتماعية التاريخية لتهيئة النخبة، علينا أن نقر أنها تكونت في المدارس "العربية الفرنسية" والثانويات التي أنشئت بعد 1850 وغيرها من المعاهد الفرنسية التي منحت هذه "النخبة" مدخلا إلى الثقافة الأوربية كمدرسة "تكوين المعلمين" ببوزريعة.

فالطرح يوحي بأننا بصدد تمييز شريحة من المجتمع الجزائري وهي "الشريحة النخبوية" ذات الثقافة الفرنسية والتي انبهرت بالحضارة الفرنسية وراهنت على الفرنسية واقتنعت بضرورتها وإمكانياتها. و"يشمل هذا الصنف العناصر التي تجنست بالجنسية الفرنسية وتخلت عن أحوالها الشخصية -حسب الفقه الإسلامي- أو ما اصطلح على تسميتهم بالإدماجيين"[1]، فهي فئة متميزة لا هي جزائرية بثقافتها وفكرها ولا هي فرنسية بعرقها وجنسها ومن هنا وقعت عرضة لازدراء المجتمع الجزائري، فقد نعتوا" بالمرتدين" وعوملوا بدون احترام. ومن هنا اعتبرت جماعة النخبة أنفسهم "خارجين عن القانون" بالنسبة إلى كلا المجموعتين، الجزائرية والفرنسية[2]. هاته الجماعة هي التي رفعت في نضالها شعار التقارب والتفاهم بين المجموعتين المذكورتين.

وفي خطوة أخرى -نود منهجيا كما أسلفنا- مقاربة الصنف الثاني من المثقفين الجزائريين وهي الطبقة المتشبعة بالثقافة العربية الإسلامية أو هي مزدوجة اللغة والثقافة والوعي بالهوية الوطنية.

---

(1) الميلي محمد، "المسألة الثقافية"، ضمن المستقبل العربي، عدد 45، ص39.

(2) سعد اله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية...، ص194.

« وهو صنف المتعلمين الذين استفادوا من فرص التعليم الفرنسي وإن بدرجات متفاوتة. لكنهم ظلوا متشبثين بمظاهر الشخصية الوطنية حريصين على عدم الانفصال عن قاعدتهم الاجتماعية، ويشمل هذا التمسك بالشخصية العربية الإسلامية مظاهر مختلفة اجتماعيا وفكريا وسياسيا أحيانا أخرى، تمثلت الأولى في الحفاظ على طابعهم العربي الإسلامي في لباسهم وسلوكهم داخل المدرسة وخارجها، بينما تمثل تمسكهم الفكري والسياسي في تأييد الحركات الإصلاحية الدينية، أي تأييد حزب سياسي وطني »[1]، قد يظهر في المستقبل.

من بين الملاحظين الموجودين بالجزائر والقريبين من هذه الطبقة المثقفة هناك المستغرب –المستشرق "جورج مارسي" (Géorges Marçais) الذي كان مديرا للمدرسة العليا بتلمسان حيث اعتبر النخبة "أولئك الجزائريين الذين جمعوا بين الثقافة العربية والثقافة الفرنسية والذين يعرفون عن مؤلفي العصر الإسلامي الذهبي وعن كتاب التراث الفرنسي"[2]. أي تلك الجماعة التي درست كلا من الحضارة العربية والفرنسية.

وإذا حاولنا الاستناد في الطرح على هذه الازدواجية في الثقافة واللغة عند هؤلاء المثقفين، فإننا نلح من ناحية أخرى على "مفهوم" الوعي (conscience) الاجتماعي والسياسي الذي اتسمت به هذه الطبقة، وبمرور الزمن حيث التعبئة، أو الشعور بدورهم الهام

---

(1) الميلي(م)، نفس المرجع أعلاه. إننا نشاطر هذا التعريف لما سنطرحه –لاحقا- من قضايا اجتماعية وثقافية وسياسية بالنسبة لدور هذه الشريحة المثقفة.

(2) سعد الله (أ)، المرجع السابق، ص185.

الذي يلعبونه في شؤون بلادهم، وبصفتهم "أنتيليجانسيا" (Intelligencia بالمفهوم الروسي أثناء تلك الفترة) يواجهون مشاكل أمتهم الكبيرة.

وإن تتبعنا تاريخيا حقيقة بروز هذه الطبقة المثقفة، للاحظنا أنها كانت نتاج الأسلوب التعليمي-المفروض فرنسيا- ووسط البيئة الثقافية التي احتضنته منذ منتصف القرن التاسع عشر والذي أدى نتيجة السياقات التكوينية إلى نوعين من المثقفين؛ مثقفي المدرسة الفرنسية ومثقفي المدارس والمعاهد القرآنية والجامعات الإسلامية. وحتى إذا حصل هذا الانقسام حقيقة فلا يجب أن ينظر إليه بصفة تفرع ثنائي، إذ يجب الأخذ في الاعتبار واقع المثقفين المتخرجين من المدارس الإسلامية الجزائرية -تلمسان، قسنطينة والعاصمة- أولئك الذين يشكلون عملية اتصال بين النوعين"[1] السابقين. وحتى مسألة الانقسام اللغوي عند المتفرنسين والمعربين يجب تفادي طرحها داخل علاقة معارضة، بل فهمها في سياق منافسة-تكاملية[2].

فمن المسلم به أن اللغة الفرنسية هي لغة مؤسسات النظام الاستعماري والمهيمنة داخل الأوساط السياسية والاقتصادية مقارنة إلى اللغة العربية؛ إلا أن دور اللغة العربية لم يختف رغم تقلصه في المحيط الرسمي الاستعماري. فمن جهة هناك ثبات واستمرارية هذه اللغة داخل بيئتها الثقافية العربية الإسلامية، ومن جهة أخرى فإنها

---

(1) DJEGLOUL (A.E.K), « **la formation des lettrés modernes algérien 1880-1930** », in travaux du laboratoire d'histoire et d'anthropologie sociale et culturelle (C.R.A.S.C) Oran, O.P.U, Alger 1988, n°04, pp7-9.
(2) DJEGLOUL (A.E.K), Op.cit.

استطاعت مواكبة التغيرات الاجتماعية الاقتصادية والسياسية التي حصلت طوال الفترة الاستعمارية الممتدة خلال القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن الحالي (إن في مجال التكوين التقليدي والترجمة والإدارة)، ومواكبة تيار النهضة والحداثة المسجلة في المغرب العربي (الصحافة والخطابة، العرائض، الأندية والجمعيات) اقتداء بما يحصل في المشرق العربي.

وكما أسلفنا ضمن سياقي "التطور الاجتماعي" و"الجذور التاريخية الثقافية" بالنسبة للقطاع الوهراني وبالتوازي مع مناطق البلاد الأخرى هناك استمرارية لدور الزوايا والمدارس القرآنية والمعاهد الإسلامية خلال هذه الفترة كمؤسسات تعليمية؛ إذ أن المتخرجين من هذه المؤسسات سوف يسلكون اختيارات عديدة مثل انكبابهم على فتح المدارس القرآنية والتحاقهم بالعدالة والإدارة كأعوان ومترجمين وغيره. إن نموذج المثقفين الذين تقلدوا مناصب "عدول" و"باش-عدول" وأعوان-أهالي و"خوجا" وغيرها من المناصب السياسية والاجتماعية بواسطة هذه اللغة يفيد ببقاء وصمود اللغة العربية كأداة عمل، ونموذج خريجي زوايا منطقة مستغانم -وليس الفريد- جدير بالاهتمام خلال هذه الفترة[1].

(1) إننا نشاطر رأي جغلول عبد القادر عندما يثير ومهتما ، "بأن العملية الحثيثة لإعادة بنية الجهاز التربوي القديم، مع أنها غير معروفة و لم تنل حقها [من البحث والاهتمام] كانت تسير بالتوازي مع إنغراس جهاز التعليم الكولونيالي مع نهاية القرن [التاسع عشر] والحرب العالمية الأولى"، المرجع السابق، ص7. وهو ما تفيد به بعض مضامين محورنا "البيئة الثقافية في الغرب الجزائري" من جهة، وتسير مع هذا الانشغال الأكاديمي

في الغالب كان التعليم السائد والمنتشر في ربوع المناطق الجزائرية هو التعليم العربي التقليدي الذي استمر في تأدية وظائفه. فحسب إحصاء 1871 كان عدد الزوايا بمؤسساتها الدينية والثقافية تقترب من الألفي زاوية تشرف على تعليم وتثقيف حوالي 28000 تلميذ من السكان[1]. كما كانت هذه المدارس التقليدية تكون وتحضر الطلاب للالتحاق في المستقبل بالمعاهد المشهورة مثل جامع الزيتونة في تونس، وجامع القرويين في مدينة فاس، وأحيانا أخرى إلى جوامع المشرق العربي في مصر وسوريا والحجاز.

إن المؤسسات المذكورة استطاعت المحافظة على اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية في مستوى محترم متحدية بذلك الإجراءات التعسفية الاستعمارية ضدها. ولا يمكن أن نقلل من الدور الحيوي لهذه المدارس القرآنية والزوايا في نشر الثقافة والعلم في فترات صعبة، تميزت بانعدام وجود تنظيم رسمي خاص بتعليم الجزائريين، صحبة قصور السلطات الفرنسية في القيام بواجبها "الحضاري". ففي 1891 أقرت لجنة مجلس الشيوخ التي زارت الجزائر "أن التعليم المقدم حاليا في الجزائر متروك في أيدي الأهالي. والزاوية التي يدرس فيها القرآن وتفسيره هي المؤسسة التعليمية والتربوية الوحيدة في البلاد".

---

(1) لوروا-بوليو (ب)، الجزائر وتونس، ص251.

___دور "المدرسة الإسلامية العليا" بتلمسان

عندما نحاول ملامسة البيئة الثقافية التي حوت إلى حد ما عملية تكوين الناشئة الجزائرية داخل النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، حتى تبرز وتتطور في شكل شريحة مثقفة ونخبوية، فمن الضروري التأكيد على الدور الذي لعبته المدرسة الإسلامية العليا بمدينة تلمسان (Medersa de Tlemcen) على غرار مدرستي قسنطينة والعاصمة انطلاقا من تاريخ تأسيسها.

فهي المدرسة التي « نشأت في شهر جويلية 1848 "بالعباد" قرب مسجد سيدي بومدين –في البداية– بهدف تعليم الشباب وخصوصا تكوين "الدرارين" بالنسبة للقبائل [العربية]، تفاديا من توجههم إلى زوايا منطقة القبائل حيث التعليم المناوئ لنا »[1]، قبل أن تتأسس نهائيا بقرار رآسي في 30 سبتمبر 1850 حيث اختصت بالدراسات التعليمية الهادفة إلى تكوين وتخريج موظفين تحتاجهم الإدارة الاستعمارية كالمفتي والعدول والمترجمين ومدرسي اللغة العربية.

---

(1) C.A.O.M, cart 1J82 « **Rapport sur l'école supérieure de Tlemcen** ».

كانت هذه المدرسة الإسلامية ذات الطابع الفرنسي تدار تحت أشراف مسؤول فرنسي يتقن اللغة العربية ولا تخفي نوايا السلطات الفرنسية من وراء هذه السياسة إزاء المدارس الإسلامية الثلاث وبجعل هذه الأخيرة تحت رقابتها، وإبعاد السكان الجزائريين عن تأثيرات رجال الدين في الزوايا والمساجد والمدارس الحرة؛ ومن ناحية أخرى حاولت الإدارة الفرنسية بتأسيس هذا التعليم الإسلامي منافسة الزوايا الموجودة في المغرب وتونس، حتى ينتقص من قيمتها ووزنها العلمي بتخفيض عدد طلابها من الجزائريين الوافدين إليها وإبقائهم في الجزائر لمتابعة الدراسات العالية في المدارس الإسلامية الحكومية؛ وكان يشترط للالتحاق بهذه المدارس معرفة اللغة الفرنسية رغم أنها أنشأت للدراسات العربية الإسلامية، إلى جانب أنه لم يسمح لكل الجزائريين التعليم والتكوين بها وإنما فقط لأبناء العائلات الذين أظهروا ميلا لفرنسا واستطاعوا التقارب والتجاوب مع سلوكها ونظمها[1].

وفي إطار تنظيم المدارس الإسلامية صدر مرسوم يدعم قرار 1850 بفرض شهادة الكفاءة الإجبارية للطلاب حتى يلتحقوا بها بعد أن يكون قد تابعوا دراستهم الابتدائية في المدرسة العربية-الفرنسية و(Ecole française-musulmane).

لم تستطع هذه المدارس الإسلامية أن تجلب إليها في المرحلة الأولى الأعداد الكافية من التلاميذ الجزائريين، وخاصة الخارجين

(1) طالع مضامين أ.م.ب.آكس، (C.A.O.M), cart 1S.24

عن دائرة مكان وجودها. فكان يراعى فيهم كذلك موقفهم اتجاه السلطات الاستعمارية كتوفر شروط الأمانة والصدق والشعور الحسي إزاءها. ولإدخال التأثير الفرنسي في المدارس الإسلامية، صدر مرسوم 1865 الذي وضع إدارة ومراقبة وتفتيش هذه المدارس بيد أيدي السلطة الفرنسية، كما صدر من بعد ذلك مرسوم 16 فبراير 1876 في حق هذه المدارس ليعكس الطابع "السياسي والفرنسي لها، فحدد هدف المدارس العليا للقانون الإسلامي" في تكوين مرشحين وموظفين للأعمال القضائية والتعليمية والدينية إلى جانب بعض الوظائف التي هي بإمكان المسلمين غير المتجنسين شغلها بفضل مرسوم 21 أفريل 1866.

كما أعفى مرسوم 1876 حاكم المنطقة العسكرية من إدارة التعليم فيها لصالح مدير التربية مبقيا دوره للمراقبة السياسية والإدارية الرسمية. وقد أعتبر المرسوم المذكور والملحق بتنظيم 7 مارس 1877 هذه المدارس رسميا "مدارس عليا للقانون الإسلامي" تحتوي كل مدرسة على ستة أساتذة (ثلاثة مسلمين وثلاثة فرنسيين) يقومون بإعطاء تكوين كامل في هذه المدارس خلال ثلاث سنوات لطلاب داخليين لا تقل أعمارهم عن سبعة عشر سنة.

ومن ناحية البرامج التـــي شملته هذه المدارس الإسلامية في مرحلتها التأسيسية (1848-1850) هناك "مواد التوحيد والفقه التشريعي والنحو واللغة"[1]؛ قبل أن تصقل ببرنامج أكثر كثافة وفقا

(1) C.A.O.M, cart 1J82.Idem.

للمادة الرابعة من مرسوم 1876 التي حوت تعليم اللغة الفرنسية والتاريخ والجغرافيا والحساب وبعض مبادئ القانون الفرنسي كالقانون المدني، والجنائي والإداري، بالإضافة إلى تعليم اللغة العربية والأدب العربي وعلم التوحيد والقانون الإسلامي.

وفي هذا الإطار لا بد من الإشارة إلى مرسوم 21 نوفمبر 1883 الذي أعفى حكام المقاطعات العسكرية من مراقبة المدارس الإسلامية وإرجاعها إلى الحكام المدنيين (Préfets)، رفقة نقل تسيير هذه المدارس والإشراف عليها من طرف مديرية التربية. أما مرسوم 23 مارس 1895 الذي جاء تتويجا للتقرير الذي قدمه عضو من مجلس الشيوخ، "كومب" (Combes) حول "وضعية تعليم الجزائريين" فقد أتى بعدة إصلاحات وحدد مدة الدراسة في هذه المدارس بأربع سنوات (عوض ثلاثة)؛ وتأسس إلى جانب ذلك قسم عالي " La Division Supérieure" تكون مدة الدراسة سنتان وهو ملحق بمدرسة العاصمة، أي ما يساوي في المجموع ست سنوات. وهذا القسم العالي مخصص فقط لعدد قليل من العناصر التي تثق فيها الإدارة الفرنسية، والذين تربطهم معها علاقات حسنة[1]، لأنهم سيتولون مناصب عالية ومهام في القضاء الإسلامي؛ ولا يلتحق بهذا القسم إلا الطلبة الحاصلون على "شهادة الدراسات" المتخرجون من المدارس الإسلامية الثلاث. كما تأسس بحكم هذا المرسوم صنف جديد للصحة العامة وشعبة للتجارة لم يكتب لهما النجاح الكبير.

---

(1) "نشرة التعليم الأهلي"، رقم 13، ص15.

ورجوعا إلى المنطقة الوهرانية -بعد هذا العرض التنظيمي للمدارس الإسلامية الثلاث- فإننـــا نرى دور المدرســـة التلمسانية مهمـــا للغاية سواء من الناحية الزمنية (1848-1912 وما بعد أيضا) في استقباله لوفود الطلبة وتخرجهم، أو فيما يتعلق بالجانب التكويني لهم وهو التكوين الذي اقترب بيداغوجيا من التحديث في البرامج على الطريقة العصرية عبر المراحل التاريخية المعروفة.

إن المحلل للأرشيف والوثائق المتعلق بالمدرسة الإسلامية التلمسانية[1] يلمس جوانب عديدة بالنسبة للبيئة الثقافية والعلمية التي كانت تسير عليها المدرسة منذ بداية عهدها وبالنسبة للعلاقة المنسوجة بينها -كمؤسسة علمية وتربوية- وبين الزوايا الدينية التي كانت تزودها بأفواج الطلبة لفترة طويلة، مثل زاوية أولاد سيدي الطيب "بعمي موسى"؛ وفي مرحلة ثالثة هناك علاقة عضوية وتكاملية بين أساتذة الشريعة واللغة والفقه الذين ينتمون إلى هذه المدرسة والمدرسين (Mouderres) في مساجد المدن الكبرى كتلمسان، وهران، معسكر، بلعباس ومستغانم بصفتهم مفتين وأئمة ومعلمين داخلها، يمكن إلحاقهم كأساتذة بالنسبة للمدرسة التلمسانية من الإدارة الحكومية أثناء شغور المناصب؛ وفي حالات عديدة يُعيِّنُونَ في القضاء الرسمي بصورة عادية أو كمستشارين ومساعدين في بعض المهام العليا، مثلما حدث مثلا "لسي بوعلي الغوتي بن محمد"،

---

(1) منها مثلا أرشيف ما وراء البحار بآكس أون بروفانس مع محفوظات رصيد "الحكومة العامة" تحت أرقام:

1.S24, 2.S24, 20J60 et 1J83...

المدرس بمسجد سيدي بلعباس عندما انتدب إلى مدينة طنجة المغربية ليساهم في تحرير جريدة "السعادة"[1] لستة أشهر ومنذ مايو 1904.

فهي المدرسة التي عرفت كبار العلماء في الشريعة واللغة والنحو والتوحيد في الجهة الغربية من الوطن أمثال سي أحمد بن طالب (من تلمسان) ومولاي الطيب ولد بن عزة (من لحناية) وسي محمد ولد عبد الله (من العباد) وسي الطاهر بن غراس (قاضي ترارة) وسي محمد بن مرابط (من تلمسان) مع نهاية الربعينيات وخلال الخمسينيات؛ وهناك الحاج محمد بن عبد الله الزقاي، صاحب إجازة في البلاغة من جامعة الأزهر وسي محمد بن ويس وسي محمد بن الشيخ وسي الحبيب بن العربي وسي محمد بن أحمد وسي الحاج محمد بن بوطالب وسي ميلود بن نميش وسي أحمد بن البشير (من معسكر) –هذا الذي تتلمذ على يد الشيخ بوراس ولد الشيخ بوطالب بمازونة– وسي أحمد بن حمزة وسي طاهر بن حسان، وكلهم أساتذة امتد نشاطهم خلال عقدي الستينيات والسبعينيات، مع البغدادي بن يوسف والهاشمي بن أحمد –مع الثمانينيات– وصولا إلى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مع أبي بكر عبد السلام بن شعيب.

ونعتقد أن شريحة واسعة ورئيسية من الطلبة المتخرجين من هذه المدرسة استطاعت أن تحتل مكانتها في المجتمع الجزائري كوسيط داخل المؤسسات الاجتماعية والدينية والثقافية كإداريين وقضاة

---

(1) م.أ.و.و علبة 4471، « عرض عن وضع الأهالي السياسي »، نوفمبر 1904.

ومفتين ومدرسين وغير ذلك[1]. وإذا كانت أفواج الطلبة التي التحقـت بالمدرسة حكرا على مدينة تلمسان في بداية عهدها (1848-1860)، فإن فئات أخرى من مختلف مناطق القطاع الوهراني الساحلية والداخلية -من الزوايا وطلبة الأقسام الملحقة بالمساجد الكبرى في العمالة- أصبحت تتنافس على مقاعدها (1860-1880) قبل أن تمنح أولوية القبول داخلها للتلامذة الجزائريين المتحصلين على شهادات المدارس الفرنسية، أي أولئك المتخرجين من المدارس العربية الفرنسية (Ecole Arabe-Française) خصوصا بعد مراسم الإصلاحات التربوية لسنة 1877 وسنة 1895.

معدل الطلبة المسجلين بالمدرسة الإسلامية بتلمسان			
الفترات التاريخية	المعدل	الفترات التاريخية	المعدل
1852 - 1848	25	1887 - 1883	44
1857 - 1853	35	1892 - 1888	26
1862 - 1857	51	1897 - 1893	38
1867 - 1863	60	1902 - 1898	33
1872 - 1868	55	1907 - 1903	47
1877 - 1873	53	1912 - 1808	56
1882 - 1878	50		

(جدول رقم 3)

وفي إطار حركة التنظيمات التي شهدتها المدارس الإسلامية، صدر قرار 18 مارس 1905 لينظم سير هذه المدارس، وهو القرار

(1) من ذا ضرورة بروز أبحاث جامعية عن هذه "المدرسة-المؤسسة" بالنسبة للتاريخ الجزائري داخل الحقبة الكولونيالية.

الذي أصدره الحاكم العام جونار محاولا تشجيع الدراسات العربية الإسلامية، التي تعتبر جزء من سياسته الأهلية و «أن المصلحة تتطلب ذلك للاستفادة من طاقات الجزائريين »[1]. فقد حاول الحاكم العام الرفع من مستوى تعليم اللغة العربية وتأسيس بعض المكتبات في المدن الكبرى لتسهيل مهمة تكوين مثقفين جدد، كما أعيد النظر في مستوى الأساتذة.

ومنذ 1905 بدأ العمل بالإجراء الجديد المتمثل في أن يكون أساتذة هذه المدارس أنفسهم متخرجين من القسم العالي بمدرسة العاصمة. أما فيما يتعلق باللغة الفرنسية والمواد المدرسة بجانبها بنفس اللغة، فإن الأساتذة المشرفين على تعليمها عليهم أن يكونوا حاصلين على شهادة البكالوريا ويحملون ديبلوم اللغة العربية وحاملين لشهادة "أهلية التعليم" من مدارس المعلمين. وكان من بين هؤلاء الفرنسيين الذين أشرفوا على التدريس في مدرسة تلمسان كل من المترجمين العسكريين بيلار(Pilard) وريكات (Ricat) وأساتذة اللغة الفرنسية ديسيو (Decieux) وديستانغ (Destaing) وريندامك (Rindemk) وإدمــان دوتي (E.Doutté) ووليام مارسي (W.Marçais) والفريد بال (A.Bel) وغيرهم.

كان الفريد بال وهو مدير للمدرسة التلمسانية يرى من خلال تلك الإجراءات التنظيمية الجديدة ذات الطابع الفرنسي إمكانية تكوين « نخبة مثقفة من هؤلاء المتخرجين من المدارس الإسلامية الحكومية،

---

(1) حلوش (ع)، المرجع السابق، ص227.

أي شريحة نخبوية وقيادية بعيدة عن كل تفكير أرستقراطي أو أية مسبقات شبه دينية حمقاء »[1]. وأكثر من ذلك، فقد تركز العمل على المواضيع الفرنسية في البرامج التعليمية لهذه المدارس، لأن الهدف الأساسي عند الإدارة الاستعمارية كان يكمن في ترجيح كفة الأفكار الفرنسية وتطبيق الطرق التعليمية الفرنسية لموازنة التعليم العربي الإسلامي أي التعليم الديني بصورة أخص.

ونخلص في النهاية عن المدرسة التلمسانية أن تلمسان كانت إلى ما بعد 1900 تقوم بدور هام "كعاصمة دينية في الجزائر"[2]، والتي استطاعت أن تكون دفعات من الطلبة ابتداء من 1848 متشبعة بالثقافة العربية الإسلامية، وملمة بالعلوم واللغة ومبادئ القانون "المدني" و"الجنائي" و"الإداري" الفرنسي. وبازدواجية ثقافة ولغة هـؤلاء الطلبـة فهم مطلعون بالطبع على الحالة السيئة التي يوجد عليها الجزائريون –نتيجة السياسة الاستيطانية الاستعمارية منذ 1830– اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا. وهم على دراية رفقة زملائهم المتنورين من "صف المعلمين" وبعض "المثقفين التقليديين" كأبي بكر عبد السلام بن شعيب وأمحمد بن رحال الندرومي بما كان يجري رسميا في الجزائر من "تقصي البعثات البرلمانية" في المسائل التي تخص المجتمع الجزائري كما حصل مع "بعثة الثلاثة والعشرين"

(1) MASSE (H), « **les études arabes en Algérie (1830-1930)** », in Revue Africaine, n°74 1933, p232.
(2) AGERON (Ch.R), « **le mouvement Jeune Algérien de 1900 à 1923** », in Etudes maghrébines, mélange Charles André Julien, Paris P.U.F1964, pp217-243.

لجول فيري (Jules Ferry) سنة 1892، وبعثة 1900 وغيرها بدعوى ضرورة القيام بالإصلاحات في الجزائر.

من هم الشبان الجزائريون في القطاع الوهراني؟

شكل قسم من تلك الشريحة الهامة والمتميزة من خريجي المدرسة العربية-الفرنسية ومدرسة تلمسان الإسلامية مع قسم "من صنف المعلمين" والجامعيين وما شابههم حركة "الشبان الجزائريين" في عمالة وهران، أو ما اصطلح على نعتهم لأول مرة في تاريخ الجزائر الثقافي والسياسي "بالشبان الأتراك" من طرف "المستشرقين-المستغربين" إدمان دوتي (E.Doutté) ووليام مارسي (W.Marçais)؛ وهما آنذاك أستاذان بالمعهد العربي-الفرنسين ومدرسان بالمدرسة الإسلامية التلمسانية. فهما اللذان لاحظا ذلك "التغير في الذهنية" لدى الشباب الجزائري وذلك "المجهود للإصلاح الديني"[1]، مما يوحي لنا بجدية النقاش العقلي داخل بيئتهم الثقافية مع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين خصوصا بعد مجيئ شيخ جامع الأزهر "المصلح"، محمد عبده إلى الجزائر عام 1903.

---

(1) Cf DOUTTE (Edmond) « **l'Islam Algérien en 1900** », in B.S.G.A.O, n° 1900.

وتكلم أيضا عن هذه النخبة من الشبان الجزائريين "المفكر المثقف" أبو بكر عبد السلام بن شعيب، الأستاذ بمدرسة تلمسان بمناسبة "أشغال المؤتمر العالمي لعلم الاجتماع الكولونيالي" سنة 1900 «بكونها نخبة جزائرية تملكت بعمق في اللغة الفرنسية بترددها على مدارس العاصمة أو على المدارس ["الإسلامية" العليا بتلمسان وقسنطينة والعاصمة] كما درست الآداب واللغة الفرنسية...[وغير ذلك من العلوم]... »[1].

من جهة أخرى تتصور الجو الثقافي-السياسي الذي كان عليه الشبان الجزائريون سواء بمطالعتهم « للصحف والمجلات الصادرة في الجزائر أو المسموح بدخولها »[2] من الخارج، أو نشاطهم داخل "الأندية" و"الجمعيات" التي يؤسسونها، الأمر الذي سيبلور أفكارهم ويصقل آرائهم وينظم اتجاهاتهم السياسية اتجاه القضايا المختلفة التي يعاني منها المجتمع الجزائري كما سنرى لاحقا.

وكما أسلفنا فإن الشريحة الثانية التي ستبلور تيار "الشبان الجزئاريين" هي الأخرى، تمثل أولئك المدرسين (Instituteurs) وأعوان المدرسين وبعض الطلاب الثانويين وبعض الجامعيين والصناعيين، أي أولئك الذين استطاعوا أن يستفيدوا من السياسة التعليمية التي تبناها "الجمهوريون". وهي السياسة التي كان لها

---

(1) طالع تدخل هذا المثقف الجزائري داخل أشغال هذا المؤتمر حول «**مسألة اندماج أهالي المسلمين بالجزائر مع الفرنسيين** » من 6 إلى 11 أوت 1900.

(2) طالع مختلف التقارير و"العروض" عن "حالة الأهالي الذهنية" بين 1903 و1914، م.أ.و، علبة 4471 وغيرها.

أصداء في الجزائر حيث استخدمت بعض الشخصيات نفوذها لمحاولة خدمة "التحرير الثقافي" للجزائريين أمثال جول فيري (J.Ferry) وأوغست بوردو (A.Burdeau) واميل كومب (E.Combes) وليبون بورجوا (L.Bourgeois) وألفريد رامبو(A.Rambaud) وغيرهم؛ إذ لم يكن الجمهوريون يرغبون في أن تصبح قضية تعليم الجزائريين من اختصاص الكولون، ولم يكن تصرف الجمهوريين بهذا الشكل من 1882 إلى 1892 وعلى رأسهم جول فيري نابعا من مبدأ "الحياد المدرسي الغالي على الجمهوريين بقدر ما يعبر في حقيقته عن وجود سياستين استعماريتين واحدة في باريس والأخرى في الجزائر"[1].

فمدرسة الجمهوريين تمثل سياسة الدمج وإلحاق المستعمرة بالوطن الأم في حين تمثل مدرسة الكولون سياسة الانفصال عن فرنسا والاستقلال بنفسها لأن القوانين المتعلقة بالأرض والقضاء والإدارة كانت تسير وفقا لمصالح هؤلاء الكولون، و"أن المدرسة كوسيلة للإدماج كانت تشكل خطرا عليهم"[2].

وفي مرحلة أخرى استطاعت هذه الشريحة من المثقفين النخبويين أن تبرز أيضا نتيجة سياسة الحاكم جونار "الأهلية" (1900–1911) التي كانت تهدف إلى جلب الطبقة المثقفة إلى فرنسا لبث "رسالة فرنسا الحضارية".

---

(1) كولونا.ف، نفس المرجع أعلاه، ص39.

(2) كولونا.ف، نفس المرجع، ص40.

وقد كان لسياسته التعليمية و"الأهلية" أبعد الأثر على الحياة الثقافية في الجزائر متمثلا في دفعة دفة الحياة الثقافية الجزائرية ومسيرتها إلى الوجهة الفرنسية بتكوين قسم من تلك النخبة المتطورة من خريجي "الشعبة الخاصة" من معهد المدرسين ببوزريعة، أو الطلبة الجامعيين والثانويين[1] رغم قلة عددهم (90 عام 1897 و84 عام 1898)[2]. أما صف المعلمين الجزائريين فإنه لم يستطع تأسيس أكثر من 22 صفا كل سنة في ميدان تعليم الصبية الجزائريين رغم ما هدف إليه مرسوم 1892 الذي أمر بتأسيس من 60 إلى80 صفا جديدا كل عام خاصا بتعليم الجزائريين لتوظيف خريجي صفوف المعلمين فحتى سنة 1896 ومجئ 1900 لم يكن هذا الصنف من المثقفين يتعدى 150 بكثير ولكنه يقترب من 200[3].

وعلى مستوى القطاع الوهراني يفي "الإحصاء المهني" لسنة 1911 بألف وخمسين (1050) "موظف وعامل دولة لعمالة وهران وبلديتها"، شكل المدرسون داخلها نسبة اقتربت من 7,23%، كان 75% منهم يحملون "شهادة الأهلية الابتدائية" أما الباقي فيحملون "شهادة الدراسات الابتدائية" فقط. ويفيد "الإحصاء العام للجزائر" في هذا الأمر قبل 1914، بتقديم 84 معلما من بينهم 40 مدرسا و39 مساعدا أهلي و5 ممرنين.

---

(1) أول طالب حصل على شهادة البكالوريا في الغرب الجزائري كان "سي العربي بن قدور"، أنظر صحيفة "صدى وهران"، عدد 23 أوت 1884.

(2) راجع مختلف التقارير عن الوضع التعليمي في الجزائر لجون مير (Jean Maire) أكاديمية الجزائر (العمادة) ومنه تقرير "1897-1898" وتقرير "1898-1899".

(3) أجرون (ش.ر)، المرجع السابق، ص226.

وهذه الأرقام تطلعنا من جهة أخرى أن تعليم الجزائريين مع مطلع القرن العشرين كان غير فعال، على الرغم من الانتعاش الذي شهده بموجب مرسوم 1883 ومحاولة إعادة تنظيمه وفقا لمرسوم 1892. ففي سنة 1899–1900 كان عدد التلاميذ الجزائريين في جميع المؤسسات التعليمية حوالي 25000 يتوزعون على المقاطعات الجزائرية الثلاث:

المقاطعات	مدارس الأمومة		مدارس الأمومة		صف المعلمين ببوزريعة	الثانويات والمعاهد	المدارس الإسلامية
	ذكور	إناث	ذكور	إناث			
الجزائر	112	71	10.143	540	35	35	74
قسنطينة	86	70	7.569	546		27	47
وهران	201	193	3.282	467		24	43
	399	334		1553	35	86	164
المجموع	733		23.547				

(جدول رقم 4) [1]

وهو ما يعطي نسبة 3,8% تقريبا بالنسبة لعدد التلاميذ الجزائريين الذين بلغ عددهم 24.565، عمن هم في سن الدراسات (63.3190) سنة 1901[2]. وترجع هذه النسبة الضئيلة لدى المتعلمين الجزائريين

(1) جون-مير، تقرير 1899-1900، نفس المصدر أعلاه، ص80.

(2) CHEFFAUD (M), « **l'Enseignement des musulmanes en Algérie entre 1830 et 1946** », in « Documents Algériens », Série politique, 1947, p30.

يمكن مقارنة عدد الجزائريين المتعلمين مع عدد الفرنسيين الذي بلغ 530.78 (أي 84%) من بين 93.531 ممن هم في سن الدراسة.

مقارنة مع تطور عدد السكان(4.500.000) إلى رفض الكولون ومعارضتهم الدائمة لمنح القروض الضرورية إلى البلديات لتأسيس مثل هذه المدارس لصالح الجزائريين. فحتى سنة 1911 أفرز التعليم الفرنسي عن "226 من التلاميذ الأهالي"، اقترب مستواهم من البكالوريا أو تعداها.

وعموما ورغم صعوبة تحديد وتقديم عدد حقيقي يفي بحجم النخبة الجزائرية مع العشريتين الأولى والثانية من القرن الجديد، فإن بعض الدراسات بادرت بتقديم أرقام عنها « كألف وألف ومائتين (1000 و1200) عن المنخرطين في مختلف الجمعيات الشبانية الجزائرية »(1).

وفي هذا السياق عن تكون "النخبة" و"الفئات المثقفة" الجزائرية عموما، فإن نشاطها الثقافي والسياسي كان واضحا وفعالا داخل المجتمع الجزائري عبر العديد من النوادي والجمعيات الثقافية التي أنشأتها مع نهاية القرن 19 وحتى 1914. وهي المراكز التي استندت عليها "النخبة المثقفة"، والتي كانت تؤدي وظيفة المدرسة، وخلوة

---

(1) أجرون (ش.ر)، المرجع السابق، ص226، وعنه فإن مصلحة الشؤون الأهلية بالحكومة العامة أعطت تقديرا عنها عام 1930 تراوح من "بعض مئات إلى أقصى عدد وهو 2000؛ في حين أنها تكلمت عن 10.000 سنة 1936"؛ ونعلم من جهة أخرى أن مشروع فيوليت –الذي ضم إلى جانب المتطورين (Evolués) فئة العسكريين من أهل الرتب والمقلدين– مس ما بين 20.000 و25.000 فرد [حسب ارنيست ساباتييه]؛ طالع أجرون (ش.ر)، نفس المرجع، ص227. أما مؤلفو "البيان الجزائري" سنة 1943 فقدروا عدد أعضاء جماعة النخبة بـ1655 شخصا، مقسمين كالتالي: 1000 عامل اختصاصي، 41 طبيبا، 22 صيدليا، 9 أطباء أسنان، 3 مهندسين، 7 محامين، 10 معلمين في المدارس الثانوية و500 مدرس"، أنظر سعد الله أبو القاسم، "الحركة الوطنية.."، ص186 [عن ساراسين، ص184].

الأحاديث، وملتقى اجتماعي للرياضة، والإسعاف والكشافة، ومقر النشاط السياسي. ومن بين المنظمات الثقافية التي ساهمت في نهضة الجزائريين هناك "الجمعية التوفيقية" بالعاصمة التي أنشئت سنة 1908 وأعيد تأسيسها عام1911 برئاسة الدكتور ابن ثامي والتي ضمت 200 عضو[1]، و"نادي صالح باي" بقسنطينة والذي ضم 1700 عضو سنة 1908 وله فروع كثيرة في مدن الجزائر[2]. وهناك "الجمعية الرشيدية" التي تأسست سنة 1894 من طرف شباب جزائري متخرج من المدارس العربية الفرنسية، وهي الجمعية التي لها فروع في كل أنحاء الجزائر (فرع العاصمة وحده كان يضم 250 عضوا عام 1910).

ولقد اقتربت هذه الجمعيات "الثقافية-السياسية" في أهدافها ونشاطها بعقدها سلسلة من المحاضرات الهامة، ومساعدة الشباب الجزائري على العمل، والتفكير، والعيش عيشة حديثة، أي القيام بجمع أولئك الجزائريين الذين يرغبون في تثقيف أنفسهم وتطوير أفكارهم العلمية والاجتماعية، وتكوينهم السياسي بمطالعة الصحف المختلفة وباللغتين، جزائرية كانت، مشرقية أو غيرها من صحف عواصم العالم.

إن الأندية والجمعيات الثقافية على مستوى الغرب الجزائري قد واكبت هي الأخرى تلك النهضة "الثقافية والسياسية" التي كانت تجري في الجزائر، ومبكرا. فمنذ 1901 وجد بتلمسان "حزب [جماعة ؟]

---

(1) سعد الله (أبو القاسم)، المرجع السابق، صص160-161، قارن "مجلة العالم الإسلامي"، مجلد 7، 1909، ص125.

(2) سعد الله (أبو القاسم)، نفس المرجع السابق.

الحضارة والتقدم"[1]. ونفس هذه المدينة الحضارية والثقافية كانت السباقة على مستوى مدن القطاع الوهراني في رؤية مثقفيها يؤسسون "نادي الشبان الجزائريين" يوم 28 مارس 1910 حيث تألفت اللجنة الإدارية من أستاذ وهو "أبو بكر عبد السلام بن شعيب"، ومدرس (بوعلي غوتي) وخوجا (ابن تركية محمد) وموظف بالبنك (ابن دالي محمد) وتاجر (شلابي عبد الكريم) مع ستة معلمين وهم بغشي محمد وابن اسماعيل محمد وبوعياد محمد وعبورة مصطفى وقلوش قادة ومسلي محمد. وعندما تجددت إدارة هذا النادي يوم 23 مارس 1912، طرأ تغيير على هيأتها بصعود أربعة تجار (شلابي عبد الكريم، وابن عمر بن علي وديب يوب وخراجا الحاج)، وثلاثة مدرسين (بخشي محمد وابن اسماعيل محمد وعبورة مصطفى) ومساعدي محام (ابن ددوش مصطفى وويس غوتي)، ومحامي (طالب عبد السلام)، ومحاسب (ابن يادي محمد)، وفلاح (بربر بن علي) وملاك (مالطي محمد). وخلال سنة 1912 أسس المدرسون المسلمون بتلمسان دائما جمعية رياضية سميت "النادي المسلم التلمساني" ترأسه المحامي طالب عبد السلام.

إن محفوظات الأرشيف المنوطة بهذه الجمعيات والنوادي عبر جزائر ما قبل الحرب العالمية الأولى، وخلال فترة ما بين الحربين (والتي هي بصدد الترتيب النهائي لوضعها بين أيدي الباحثين)[2]

---

(1) مينييه (ج)، المرجع السابق، ص217.

(2) لم نستطع إقناع المسؤولين بمديرية أرشيف ما وراء البحار بأكس أون بروفانس (Aix-en Provence) لتزويدنا بملفات عن هذه الأندية والجمعيات أثناء وجودنا بالمكان نهاية عام 1993، قصد استغلالها بشكل أوسع. فكانت حجتهم أن عملية الفرز والترتيب المنوطة بذلك الأرشيف لم تتم بعد، وسلمت لنا قصرا "محاولات جرد" أولية أفادتنا بوجود 13 رزمة من الحجم الكبير تمس

تؤكد مدى اتساع انتشارها مع مطلع القرن العشرين إن في المجال الثقافي-السياسي، الاجتماعي، الرياضي أو الديني (Les cultuelles) عبر نواحي ومناطق الجزائر كلها، وذلك على مستوى الجزائريين والأوربيين؛ إذ شهدت مدينة وهران ميلاد "النادي الوهراني" عام 1911 من طرف اللجنة المشرفة على صدور "جريدة الحق الوهراني" وهو النادي الذي كانت تتردد عليه وتجتمع فيه أنتيليجانسيا القطاع الوهراني (كأمحمد بن رحال الندرومي وغيره).

وعرفت هذه المدينة أيضا منذ مطلع القرن العشرين بداية النضال والصراع الاجتماعي الذي كان يؤطره مثقفو وبورجوازيو أنديتها بتوجههم نحو الشغيلة الجزائرية لتنظيمها، كما حصل مع الشاب "ابن سعد" (وهو من أعضاء لجنة جريدة "الحق الوهراني")، المنشط الرئيسي بالنسبة "لجمعية التضامن الخيري الأهلية" من 1900 إلى 1930[1]، و"العربي فخار" الذي ترأس "نقابة الشحانين الوهرانيين" وهي النقابة التي تأسست بين 1903 و1904[2]. وعندما ترعرعت جريدة "الحق الوهراني" أسس الشبان الجزائريون المنتمون إليها "جمعية المدرسين الأهالي لعمالة وهران" في مايو 1912[3]، عرفت باسم « جمعية الصداقة » وكان على رأسها معبد بن عودة.

فترة 1902-1953 بالنسبة للجزائريين والأوربيين والإسرائيليين، داخل القطاع الوهراني (من رزمة رقم 3277 إلى رزمة رقم 3290)، إذ حوت الرزمة الأولى منها (أي 3277) حوالي 75 ملف خاص، لمختلف الجمعيات والنوادي.

(1) نفس المصدر السابق.

(2) نفس المصدر أعلاه.

(3) جريدة "الحق الوهراني"، مايو 1912.

كما عرفت مدن أخرى في القطاع الوهراني أنديتها الخاصة بها كمدينة مستغانم التي أسس شبابها ناديهم على شاكلة "نادي الشباب" التلمساني سنة 1913[1]، وشهدت من قبل ميلاد فرع "الجمعية الرشيدية" عام 1909[2]، ومدينة سيدي بلعباس التي شهدت تأسيس "نادي المسلمين" بعد 1910. أما دائرة معسكر الواسعة فلقد تميزت بكثرة نواديها وجمعياتها المختلفة خلال هذه الفترة؛ نشير منها إلى « اتحاد تغنيف » التي عرف نشاطا حثيثا ابتداء من 1911 من طرف أعضائه من المدرسين الشباب، ومنهم "معبد بن عودة" الذي كان يترأس جهويا "جمعية المدرسين" الجزائريين. وهناك "نادي الاتحاد" بتيزي، و"نادي الاتحاد" بمدينة معسكر؛ هذه المدينة التي تأسست بها جمعيات كثيرة أخرى مثل "جمعية باب-علي" و"الجمعية الأخوية"، و"مولودية معسكر" مع "النادي الإسلامي لكرة القدم" لاحقا؛ وهناك "جمعية التلاميذ وقدامى التلاميذ لمدرسة الأهالي بسعيدة" و"نادي الاتحاد" بعين لحجر، و"الجمعية الأخوية" بتاغراماريل[3].

ونتيجة هذا النشاط الثقافي-السياسي كله وبروز هذه النواة من المثقفين الواعين من داخل البرجوازية الإدارية الجزائرية، رفقة بعض المدرسين ممن أفرزتهم البرجوازية الصغيرة مطلع القرن الجديد، هناك تبلور تيار سياسي مبكر، لخوض غمار "التحديث" والإلمام بمشاكل المجتمع و"عجزه" عندما استطاعت جماعة من النخبة تأسيس لسان لها بوهران، متمثلا في البداية في صحيفة "المصباح" (El-Misbah) برئاسة المدرس العربي فخار خلال شهر جوان 1904؛

(1) Revue Indigène, n° mars 1913.

(2) جريدة "الحق الوهراني"، عدد 8-15 جوان 1912.

(3) أ.م.ب.آكس، علبة 3277.

رفقة بعض المدرسين والإداريين الجزائريين من القطاع الوهراني أمثال "حمدان بوركايب" و"غمري حميدة" و"ابن منصور الصنهاجي" وأمثال الذين كانوا يوقعون مقالاتهم وتدخلاتهم بأسماء مستعارة مثل "الحاج" و"ابن خلدون" و"علاء الدين" (Aladin) و"ميمون".

وتعد صحيفة "المصباح" أول جريدة تعبر عن تيار الشبان الجزائريين في الوطن. وبصفتها صحيفة مزدوجة اللغة. وكانت مقالاتها مختلفة في طروحاتها "للمواضيع" ولو أنها اتسمت بالتقارب في بعض المبادئ كالمطالبة "بالتقدم" و"العصرنة" و"التفتح" و"التعلم الفرنسي" ومحاربة "الكسل" و"الإجحاف" و"الخمول" و"العادات القديمة". كما وجهت عنايتها إلى مشكلة الشباب الجزائري لحثهم على التعلم. "لاسترجاع مكانتهم الضائعة"؛ ونصبت "المصباح" نفسها خلال هذه الفترة القصيرة من عمرها (1904-1905) صاحبة مهمة للدفاع عن المصالح المادية والمعنوية "لهذا الشعب العربي"، ناقدة الوضع السائد في الجزائر بسبب إجحاف الكولون وسياسة الإدارة الفرنسية الاضطهادية؛ بذلك احتل موضوع "الشباب العربي" المكانة الأولى في افتتاحية "المصباح" بتوجيه نداء له من طرف العربي فخار لِحَثّه الخروج من سباته[1] مع مطلع هذا القرن الجديد والإقدام على استيعاب أفكار "التقدم":

« نتساءل أحيانا هل نملك المزايا الضرورية لنساهم في تطور المجتمع، "وبطرحنا هذا السؤال ننكر برضا الدور الكبير الذي لعبه آباؤنا في التاريخ. ورغم "انحطاط حضارتنا منذ عدة قرون فإنها لم تتلف نهائيا. أما تراثنا الثقافي فليباشر لأنه "لم يمت... أما تقاليدنا

(1) "المصباح"، عدد 4 جوان 1904.

فإنها لم تتأثر قط وأقل منها معتقداتنا الدينية. ولنسأل أنفسنا: "ألسنا جديرين بمصير أفضل؛ إذا فالشعار الذي يجب أن يغرسه كل مسلم يكون "صديق "التقدم" حقيقة، هو تطوير حالته الذهنية والعلمية. فالإنجاز والهدف ليس من "دور المسلم وحده ولكنه فرنسي أيضا »[1].

فالمحلل للخطاب الصحفي الذي تضمنته جريدة "المصباح" يجد المفارقة الكبيرة، وبعيدا كل البعد عن مطالب وآراء القسم الآخر من أعضاء جماعة النخبة المتفرنسة والتي تزعمت اللائكية و"ترك الدين" والمطالبة بالتجنيس (أمثال بوضربة وديندان).

كما تؤكد "المصباح" على "القيمة الحضارية" التي يتميز بها الشعب الجزائري عندما «نقتنع أن قوة شعب هي ثقته بنفسه، هذه الثقة التي يستقيها عندما يشعر بقيمته»[2] الحضارية. وتتطلع من ناحية أخرى في أعدادها الأولى، إلى الدور الذي يجب أن يكون من نصيب المثقفين –أولا– ليلعبوه في حل "المسألة العربية"، أي مشاكل الشعب الجزائري، وهو "الذي تهاون ولم يعبر عن حقيقة مشاعره أثناء اختيار نوابه وممثليه". ولهذا "يجب أن يسمع صوتنا" وحتى « نساهم في المناقشات الجادة التي تهمنا...متمنينا أن يؤخذ بآرائنا أكثر فأكثر، عندما يعبر عنها بنزاهة واحترام عرب متنورون وليبراليون »[3]. وكما تحاول "المصباح" إقناع السلطة الاستعمارية بهذا الدور المرجو، فإنها تؤكد حقيقة وجود هذه "الطبقة" من المثقفين

(1) "المصباح" عدد 10 جوان 1904.

(2) "المصباح" نفس المرجع السابق.

(3) "المصباح"، عدد 10 جوان و21 جويلية 1904.

الجزائريين الواعين و"العهد الجديد الذي حل"، « مما يترك للمسلمين الجزائريين إمكانية المساهمة في وقت قريب ونشاط في الإنجاز المشترك بتحمل نصيبهم من المسؤولية التي هي من حقهم »[1].

استطاع هذا الشباب النخبوي الواعي أن يعزز نضاله الوطني ابتداء من 1911 بتأسيس صحيفة ثانية وباللغتين أيضا وهي "الحق الوهراني" (1911–1912). وهو المنبر الذي تحسس أكثر إلى مشاكل ومصير الطبقة الشعبية، وتميز بخطه الوطني كما سنلمسه في المحور الوارد ومواقفه "الصادقة" في بعض القضايا المصيرية للمجتمع الجزائري مثل "التجنيد العسكري الإجباري" و"الحقوق السياسية" وغيرها؛ حيث استطاع هذا المنبر أن ينال ثناء وارتياح بعض المفكرين والصحفيين في القطر الجزائري ببروزه في أصعب مقاطعة استيطانية مثلها القطاع الوهراني؛ ومنهم عمر راسم الذي كان يحرر جريدة "الجزائر" الشهرية، ذات اللسان العربي والتي هدفت إلى توعية وتثقيف وتعليم الجزائريين عن الوضع العالمي: « القطر الجزائري منذ ترعرعت الحرية في جميع الأقطار امتدت أشجارها بالجرائد "التي تطعم أهلها بالأفكار الثاقبة والأقوال النافعة... قد نبغ ما بين أولاده من يستحقون "الشكر والثناء لأنهم سعوا في ترقيته والدأب عن مصالحه ودفع كل ما يكرهه ويحط "من فضيلته فلهم الشكر ولهم الثناء... قاموا بأمر عظيم طالما تمنته البلاد والعباد وهو "إنشاء جريدة "الحق" والتي لا تنطق إلا بالحق والتي لا تنهى إلا عن منكر ولا "تخاطب إلا بالصدق حتى نبين قبول كل مفكر عاقل وأخذت جلب بنيل كامل. إن هذه "الجريدة الصادقة هي أحق أن تكون

---

(1) "المصباح"، عدد 2 سبتمبر 1904.

لسان حال مسلمي شمال إفريقية لأنها أصدق "الجرائد لهجة وأهمها فائدة وأعظمها نفعا. إنها أحق أن تنشر وتقرأ والحق "إخوان...-يتبع- الجزائر رجب عام 1320، عمر راسم »[1].

(1) "الحق الوهراني" عدد 22-29 جوان 1912.

ـــــ خاتمة

وأخيرا فإن هذه البرجوازية الجزائرية "الحضرية" رغم نسبتها الصغيرة وصحبة سكان المدن، هي التي ستلعب دورها خلال العقود التاريخية المقبلة في جزائر ما قبل الحرب وفيما بعدها، حيث أنها استطاعت أن تسترجع سياسيا ما فقدته القوى الريفية في السابق، الأمر الذي سيحفز على تغيير العلاقات السياسية الاقتصادية، داخل ما نسميه تبلور الوعي السياسي -الديني- والثقافي داخل المجتمع الجزائري وتدشين مرحلة حوار تاريخي تميزت به الحركة الوطنية الجزائرية خلال مرحلة تاريخية لاحقة امتدت منذ نهاية الحرب العالمية الأولى وإلى بداية الخمسينيات من القرن العشرين.

أما الشريحة التقليدية من شيوخ الزوايا والمعاهد الدينية فلقد واضبت عموما مهمتها التثقيفية الدينية واللغوية وسط المجتمع الجزائري، ونراه دورا أساسيا وإيجابيا للمحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية وتعميق "الوطنية الجزائرية" كحقيقة منشودة تاريخيا.

بيبليوغرافية

أولا: المصادر والمراجع بالعربية :

أ/ المصادر:

- الصحافة:

"الحق الوهراني". صحيفة أسبوعية، تصدر بوهران، وهي ذات الانطباع الإسلامي والنهضة الإسلامية في المشرق؛ ظهر أول عدد لها يوم 14 أكتوبر 1911، كان مديرها رجل أعمال فرنسي، اعتنق الإسلام وأخلص له وهو تابييه (TAPIE)، مدعما من طرف بعض الملاك الجزائريين وتاجران في المجوهرات ومساعد صيدلي؛ كان جل المحررين في الصحيفة يمضون مقالاتهم بأسماء مستعارة كأحمد ريبا وبربروس وصال. ساهم في تحريرها من العاصمة ابن منصور الصنهاجي ("الفاروق") والتاجر دربيسلي أحمد من مدينة "سلا" من المغرب الأقصى.

- "المصباح" (1904-1905)، جريدة أصدرها العربي فخار بمدينة وهران، وهو مدرس اللغة الفرنسية بالمدارس الحكومية. تأسست الجريدة استجابة "لذلك التيار السياسي الذي عرفته منظمة الشباب الجزائري (Les jeunes Algériens) مع بداية القرن العشرين؛ وهو الدعوة إلى مساواة الأهالي في الحقوق بالفرنسيين -ناصر (محمد)، "الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939"- ؛ هي جريدة أسبوعية محررة باللغتين العربية والفرنسية.

ب/ مراجع (قائمة مختصرة)

- ابن شنب سعد الدين. -النهضة العربية في الجزائر في النصف الأول من القرن 14هـ، مجلة كلية الآداب، العدد الأول، السنة الأولى 1964، الجزائر.
- المدني أحمد توفيق. - كتاب الجزائر، المطبعة العربية الجزائرية، 1300هـ. 1931-1956.
- تركي رابح .- التعليم القومي والشخصية الوطنية (1931-1936)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1975.
- حلوش عبد القادر. -السياسة التعليمية في الجزائر (1871-1917)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1975.
- خوجة حمدان بن عثمان. -المرآة، باريس، مطبعة غوطشي فيلست1833.

- سعد الله أبو القاسم. – أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزائر 1978.
- سعد الله أبو القاسم.– الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930). بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، مارس 1969.
- سعد الله أبو القاسم. – تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20م)، جزآن، الجزائر، 1985.
- محمد بن عبد الكريم. – حمدان بن عثمان خوجا الجزائري ومذكراته، دار الثقافية، بيروت، لبنان، 1972.
- ناصر محمد. – الصحف العربية الجزائرية (1847-1939)، الجزائر، 1980.
- ناصر محمد. – المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، أعلامها من 1903 إلى 1931، الجزائر 1398هـ -1978م.

ثانيا- المصادر والمراجع باللغة الفرنسية

أ/ أرشيف ما وراء البحار بآكس أون- بروفانس (فرنسا).

A- Archives d'outre-mer a Aix-en-Provence (France)

1- Archives de l'ancien gouvernement général de l'Algérie.

- SERIE « F^{80} » : ***Instruction publique, écoles publiques et lycées.***

F^{80}.431 à 434 – Rapports des préfets (1849-1858).
F^{80}.1561 à 1583- Instruction publique, écoles et lycées.
F^{80}.1747 -Confréries musulmanes.
F^{80}.2009 - Instruction publique et cultes.

- SERIE « H » : ***Affaires indigènes.***

Sous-série « 7^H » : Chefs indigènes.

7H23 - Chefs indigènes, Agha, honoraires (1894-1905).

Sous-série « 10^H »– Etudes et notices sur l'Algérie et l'Islam (1845-1940).

10H56 - Notices sur les chefs indigènes et grandes familles (1849-1868).

10H57 - Notes sur l'enseignement théologique des Médersas (1849-1868).

10H58 - Notes sur l'enseignement théologique des Médersas.

Sous-Série « 14H » - Questions sociales concernant les indigènes (économie, enseignement, assistance, travail, etc...) (1908-1940).

14H47 - Moudérès. Inspections (1905-1923).

- SERIE « J » : ***Bureaux Arabes de l'Oranie***

Sous-Série J1 – (Division d'Oran) 1923-1931.

J3 - Police générale (1883-1891) et (1867-1894)

1J4 - Affaires politiques et administratives (1843-1866) et (1867-1894).

1J21 - Personnel des tribus, des bureaux arabes et de la justice musulmane (1843-1863).

1J24 -Personnel des tribus, des bureaux arabes et de la justice musulmane (1880-1885).

1J82-1J85 - Travaux indigènes, instructions publiques et culte (1847-1886).

Sous-série « 60J ».

60^J20 Médersa (1874-1876).

- SERIE « P » - Culte :

P4 - Culte musulman, conféries musulmanes. Zaouïas, écoles coraniques, personnages religieux (1854-1857).

P5 - Questions d'ordre général. Séparation des églises et de l'Etat (1902-1917).

- **<u>SERIE « S-ORAN »</u> : Instruction publique.**

Sous-série 1S – Enseignement primaire.

1S34 - Cours d'Adultes (1851-1887).

1S37 - Ecoles arabes-françaises : arrondissement d'Oran, Mascara, Tlemcen (1860-1881).

1S38 - Idem : Arrondissement de Sidi Bel Abbès et Mostaganem.

1S39 - Ecole arabe-françaises et cours d'adultes maures : instructions (1849-1881), surveillance et inspection (1850-1874), chaire publique d'Arabe (1834-1877).

1S40 - Ecoles arabes françaises et zaouïas (1852-1874), cours d'adultes maures (1856-1865), école normales primaire d'Alger et école des arts et métiers (1856-1879), écoles et confréries religieuses.

Sous-série 4 S – Ecoles coraniques et Médersas

4S1 à 4S5 - Ecoles coraniques (1908-1955). Département d'Oran

4S6 à 4S9 - Ecoles coraniques (1908-1955). Département de Tlemcen.

4S10 à 4S13 - Ecoles coraniques (1908-1955). Département de Mostaganem.

4S14 - Ecoles coraniques (1908-1955). Département de Tiaret

4S15 - Ecoles coraniques. Arrondissement de Mostaganem : dossiers des établissements (1896-1933).

4S16 - Ecoles coraniques. Arrondissement de Tlemcen (1896-1930).

4S17 - Ecoles coraniques. Arrondissement de Sidi Bel Abbès (1896-1914).

4S18 - Ecoles coraniques. Arrondissement de Mascara (1896-1933).

4S19 - Ecoles coraniques. Arrondissement d'Oran (1896-1933).

4S20 - Médersas (1944-1952).

4S21 - Médersas de Tlemcen (1903-1947).

ب- مديرية المحفوظات بولاية وهران

B- Direction des Archives de la wilaya d'Oran

Carton 4064 - Enseignement privé des indigènes, Oranie (1903-1922).

- Ecoles coraniques, Oranie (1929-1931).

Carton 4471 - Renseignement individuels, surveillance des indigènes (1900).

- Fiches signalétiques (élus), exposé de la situation politique des indigènes. en Oranie : Août 1903 à Janviers 1909.

- Fiches signalétiques des élus indigènes.

- Etat d'esprit indigène (1914-1918).

Carton 4474 - Renseignements individuels pour servir au recrutement du personnel administratif indigène à la surveillance politique et administrative des populations musulmanes d'Oranie.

Etudes et ouvrages   ثالثا - الدراسات و المراجع :

- **AGERON** (Charles-Robert). - Les Algériens musulmans et la France. Paris P.U.F, 1968, 2 Tomes, 1308p.
- **AGERON** (Ch-R). - «Jules Ferry et la question algérienne en 1892 » ; In. R.H.M.C, Avril-Juin 1963.
- **AGERON** (Ch-R). - «Le mouvement Jeune Algérien de 1900 à 1923 » ; In Etudes maghrébines, « mélange Charles André Julien », Paris. P.U.F, 1964, p.217-243.
- **AJGOU** (Ali). - L'enseignement indigène en Algérie de 1892 à 1949.Essai d'une histoire éducative et culturelle. Thèse, Université de Provence, 2 Vol, Nov. 1983.
- **BASSET** (René). - Nédroma et les Traras. Paris. Ed. Leroux, 1901, 238p.
- **BEL** (Alfred). – « De l'enseignement réservé aux indigènes musulman dans les écoles qui leur sont spécial » ; In Bull de l'enseignement des indigènes, n° 184-82.
- **BEL** (A). –« La population musulmane de Tlemcen » ; In Revue d'études ethnographiques et sociologiques, 1908, p.200-216.
- **BENACHENHOU** (Abdellatif). - Formation du sous-développement en Algérie (1830-1962). O.P.U, Alger, 1976, 480p.
- **BENCHENEB** (S). - Quelques historiens arabes modernes de l'Algérie ; In revue africaine, 1956, pp.475-499.
- **BERQUE** (Augustin). –« Essai d'une bibliographie, critique des confréries musulmanes algériennes » ; In B.S.G.A d'Oran, Juin-Septembre à Décembre 1919.
- **BOURDIEU** (P). - Sociologie de l'Algérie, Que Sais-je ? n°502, 1962.

- **COLLOT** (C). - Les institutions algériennes pendant la période coloniale, Alger, 1977, O.P.U, 226p.

- **COLLONAT** (F) - Les instituteurs algériens (1883-1939), Alger. O.P.U. 1975, 239p.

- **COPPOLANI** (X) & DEPONT (O). - Les confréries religieuses musulmanes. Alger, 1897, 576p.

- **DEPONT** (O) & COPPOLANI (X). - Les confréries musulmanes, Alger, 1897, 577p.

- **DJEGHLOUL** (A.E.K). - «La formation des lettrés modernes algériens» (1880-1930); In travaux du laboratoire d'histoire et d'anthropologie sociale et culturelle (C.R.A.S.C) Oran, O.P.U (Alger) n°04-88, pp.7-9.

- **EMERIT** (Marcel). - L'Etat intellectuel et moral en Algérie en 1830, In R.H.M.C, 1954.

- **FREMEAUX** (J). - Les bureaux arabes dans l'Algérie de la conquête, et Denoël, Paris, 1993, 310p.

- **GOUVION** (Marthe & Edmond). - Kitab Aâyane el Marhariba, Alger, 1920, 219p.

- **HAMET** (Ismaêl). - Les musulmans Français du Nord de l'Afrique, Paris, A.Colin, 1906, 316p.

- **HELLAL** (Amar) - Les étudiants arabophones algériens (1870-1916), Thèse de doctorat, Université de Provence, 2 vol. Nov. 1983.

- **JULIEN** (Ch.A). -Histoire de l'Algérie contemporaine, tome I: La conquête et les débuts de la colonisation (1827-1871), Paris, P.U.F, 1979, 632p.

- **LACHEREF** (M). - L'Algérie : «Nation et Société», Maspéro, Les cahiers libres, Paris, 1969, 346p.

- **LEROY**-BEAULIEU (F). - L'Algérie et la Tunisie, Paris, 2ème édition 1897.

- **MASSE** (A). - «Les études arabes en Algérie » ;In Revue Africaine, n° de 1933.

- **MEYNIER** (G). - L'Algérie revelée. La guerre de 1914-1918 et le premier quart du XXè siècle (Thèse). Imp. Genève (Suisse), 1981, 731p.

- **MICHAUX**-BELLAIRE (Edmon). - «Les Musulmans d'Algérie au Maroc » ; In Archives marocaines, Paris, 1907, pp.1-115.

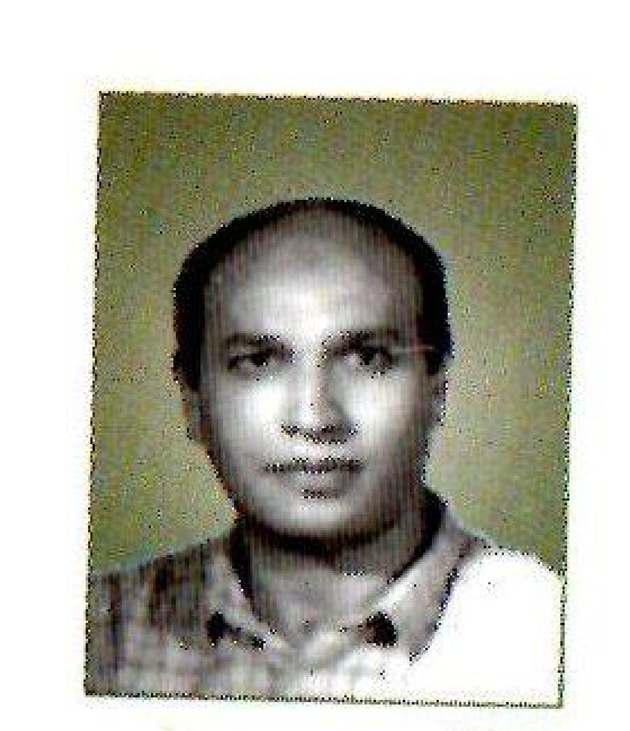
- **PRENANT** (A). - Nédroma, étude urbaine, D.E.S., Paris, 1956. 116p.

- **TINTHOIN** (R). - L'Oranie, sa géographie, son histoire et ses centres vitaux, Ed. Fouque, Oran, 1952.

- **TURIN** (Yvonne). - Affrontement culturels dans l'Algérie coloniale, Ecoles, médecines, religion, 1830-1880. Edit. Marpéro, Paris, 1971, 434p.

فهرسة

الدكتور إبراهيم مهديد



الباحث من مواليد 1950، تحصل على شهادة الدراسات المعمقة في كل من جامعة وهران (1979) وجامعة باريسVII (1981)، يحمل شهادة الماجستير (1986) وشهادة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث والمعاصر (2000)، أنتدب إلى جامعة صوربونIII بين 1990 و1993، أشرف على عدة مشاريع بحث، وهو **مختص** في أرشيف ومصادر تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962).

من هم المثقفون الجزائريون خلال هذه الفترة (1850-1912)؟

هو السؤال الذي طرحته كتابات وأدبيات "الهيسطوغرافية الكولونيالية" المبكرة -عموما- محاولة بذلك حصر فئاتهم في نخبة "أنتيليجانسيا" (Intelligencia بالمفهوم الروسي آنذاك) كانت نتاج الثقافة الفرنسية المحضة مع اصطفاء دورها داخل المجتمع الجزائري سياسيا واجتماعيا وثقافيا.

فكخطوة، بهذا الإسهام التي نضعه أمام الباحثين والقراء، نود -أيضا- مقاربة ذلك **الصنف** من المثقفين المتشبع بالثقافة العربية الإسلامية مع مزدوجي اللغة -خريجي المدارس الإسلامية العليا- وهو الذي تمثل في **أطر وطنية** واعية ساهمت في قيادة حركة النهضة في الجزائر مع نهاية القرن 19 والعقود الأولى من القرن 20؛ إذ كان لوجود هذا **الصنف الثاني** نتائج حاسمة تمثلت في **خلق توازن** في القوى السياسية والفكرية عبر مراحل الحركة الوطنية والتاريخ الجزائري المعاصر.

منشورات دار الأديب